

# روحانيات حاج

تأليف

د. أحمد خضر حسنين الحسن

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه  
واهتدى بهداه .

فالحج ركن من أركان الإسلام وشعيرة من الشعائر العظام تهفوا إليه الأفئدة وتحنو إليه  
القلوب، وتتوق في أشهره النفوس إلى زيارته تلك البقاع الطاهرة تحقيقاً لقول الله عز وجل  
(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) وقوله (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ  
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ).

يتدافع الحجاج كل عام يحدوهم الشوق إلى تلك البقاع الطاهرة وكلهم أمل في أن يرجعوا من  
ذنوبهم كالיום الذي خرجوا فيه من بطون أمهاتهم ؛ (فالحج يهدم ما كان قبله) كما في صحيح  
مسلم ، ( من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) كما في صحيح  
البخاري، (والحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب ) كما  
في سنن الترمذي والنسائي وابن ماجه .

ومن لم يوفق للحج ولم يستطع السير إليه فإنه يودع الحجيج بدمع جار وقلب متلهف ويتابع  
مناسكهم ولسان حاله :

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوما و سرننا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وقد رحلوا ومن أقام على عذر كمن راحا

وبعد: فإن أداء الحج بصورته المعلومة سهل ميسور لدى كثير من الحجاج ولكن قل من  
يلتفت إلى صورته الباطنة شأنه في ذلك شأن الصلاة والذكر وغيرها من العبادات هذا مما  
أدى إلى عدم الاستفادة من الحج أعني بإعمار القلب بالإيمان وبحصول الاخبارات المشار إليه  
في سياق الآيات القرآنية التي نتحدث عن الحج في سورة الحج وهي قوله تعالى "ولكل أمة  
جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فالهكم إليه واحد فله أسلموا  
وبشر المخبتين "

ثم وصفهم بقوله " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ... الخ الآية ، وهذه الآيات قال السعدي في تفسيرها مانصه : ( تلك الآيات هي التي وضحت الصورة الباطنة للحج ) أو بعبارة أخرى ما يشعر به الحاج في باطنه وسنتناول ذلك بالتفصيل في الصفحات التالية وذلك من خلال عدد من الوقفات التي تأخذ كل منسك من مناسك الحج على حدته أعني من الناحية الروحية وليست الفقهية ، إذ الكتب التي شرحت أحكام الحج الفقهية لا تكاد تحصى من كثرتها ، وأما معالجتها من الناحية الروحية والمقاصدية والحكمة التشريعية فقلما تجد من أفردتها بالتأليف .

فها هنا ثلاثة علوم متعلقة بالحج - بل وكذلك سائر العبادات - :

**1/ معرفة أحكامه من الناحية الفقهية وهذا ضروري لأنه بدونها لا يصح الحج أصلاً ، وهذا العلم عليه تنبني العبادة وبه تقوم أركانها وواجباتها وسننها وفضائلها فالذي يأتي بالحج على ما بينه الفقهاء يكون كمن بني بيتاً ولكن بقي عليه توصيل الماء والكهرباء ليتهنى بسكناه .**

**2/ ومعرفة الحكمة من فرضه على العباد أو معرفة مقاصده الشرعية - كلاهما بمعنى واحد - وهذا مما يعطي الحاج دفعة قوية لأداء المناسك ، فمن فهم ذلك كان كمن قام بتوصيل الماء والكهرباء لبيته وسكن فيه .**

**3/ وأما معرفة الروحانيات فهي شئ آخر يختلف عما تقدم لأن تلك الروحانيات تجمع بين الأحكام الفقهية والمقاصد الشرعية إذ الحاج سوف يستصحب المقاصد ولكن بذهن حاضر وقلب متيقظ وفؤاد متأثر وحينها سيجد طعماً للمناسك ربما لا يظفر به غيره من الحجاج الذين غفلوا عن إحياء روح العبودية لله تعالى في كل منسك يؤدونه .**

وما أجمل ما قاله الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله : "اعلم أن من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها، وثقل عليه الاشتغال بغيرها. وبيانه من وجهين:

**الأول:** أن الكمال محبوب بالذات، وأكمل أحوال الإنسان اشتغاله بعبادة الله، فإنه يستنير قلبه بنور الإلهية، وينشرف لسانه بشرف الذكر والقراءة، وتتجمل أعضاؤه بجمال خدمة الله، وهذه الأحوال أشرف المراتب الإنسانية، والدرجات البشرية. فإذا كان حصول هذه الأحوال أعظم السعادات الإنسانية في الحال، وهي موجبة أيضاً لأكمل السعادات في الزمان المستقبل، فمن وقف على هذه الأحوال، زال عنه ثقل الطاعات، وعظمت حلاوتها في قلبه.

**الثاني:** أن الاشتغال بالعبادة انتقل من عالم الغرور إلى عالم السرور، ومن الاشتغال بالخلق إلى حضرة الحق، وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة"

وقد عبر أحد الدعاة عن حاجة الحاج إلى تلك الروحانيات بقوله : ( إنسان ذهب إلى الحج , أقول لكم بصراحة دون مجاملة : واحد سُمِحَ له أن يذهبَ إلى الحج ودفِعَ مبالغ طائلةٍ , وركب الطائرة , وغادر بلده , وترك محله , وترك أهله , وترك أولاده , ازدحام , وحر ونفقات , وانتظار بالمطار سبعة أيام أو سبع ساعات , أو عشر ساعات , يعني لا أُصدق أنَّ الحاج طافَ حولَ الكعبة وما شعرَ بشيء , ذهبَ إلى عرفات , وأقام ساعات طويلة جلس مثل السائح , والله الخيمة حر أين الطعام؟ أين يوجد مكيف؟ جلس ونام قليلاً وارتاح , حتى غابت الشمس , ثم جاء إلى منى .

يعني أنا لا أُصدق أنَّ خالقَ الكون أمرَكَ أن تترك بلدك وأن تترك الطائرة أو أن تمشي على قدميك أو أن تتركب الجمل , وأن تقطع المسافات الشاسعة وأن تُنفق عشرات الألوف , وأن تتحمل مشاق السفر للتواجد في مكان اسمه الكعبة , والله لا أُصدق ذلك إلا أن يكون في هذا الطواف الخشوع والإقبال والشعور بالقرب والشعور بتلقي التجلي من الله عزَّ وجل أن تذهبَ إلى عرفات دونَ أن تشعرَ بشيء إلا أنك وُجِدتَ في عرفات ) .

**ويصح باحث (أما أن يذهب - الحاج - على ما كان عليه من سوء الخلق وفضاظة الطبع وكثرة الجدل والخصام والأذى والفسوق، ثم يمكث هناك وعود على ما كان عليه، فما استفاد من حجه، وما ضمنه حجاً مبروراً متقبلاً، بل "ما حج هو، وإنما حج الجمل" )**

وقد يسر الله كتابة تلك الروحانيات من خلال هذه الوقفات على النحو التالي :

**تمهيد : قصة مؤثرة بين يدي هذه الروحانيات .**

**الوقفة الأولى : روحانيات الحاج عند خروجه للسفر صوب البيت العتيق .**

**الوقفة الثانية : روحانيات الحاج عند وصوله للميقات ولبسه لملابس الإحرام .**

**الوقفة الثالثة : روحانيات الحاج في التلبية .**

**الوقفة الرابعة : روحانيات الحاج عند رؤية الكعبة والطواف بالبيت العتيق .**

**الوقفة الخامسة : روحانيات الحاج في السعي بين الصفا والمروة .**

الوقفه السادسة : روحانيات الحاج عند نزوله بمنى يوم التروية .

الوقفه السابعة : روحانيات الحاج في عرفات .

الوقفه الثامنة :روحانيات الحاج عند حلق رأسه ورميه للجمرات في أيام التشريق.

الوقفه التاسعة : روحانيات الحاج عند التكبير في أيام التشريق .

الوقفه العاشرة : روحانيات الحاج في طواف الوداع .

الوقفه الحادية عشرة : روحانيات الحاج عند زيارة المدينة النبوية المنورة .

الوقفه الثانية عشرة :روحانيات الحاج في الدعو إلى الله تعالى .

خاتمة الروحانيات : شئ من العقل والفكر .

وأنا إذ أقدم هذه الروحانيات للحجاج رجالاً ونساءً أرجو أن ينفعهم الله بها وأن تكون سبباً في أدائهم لحج مبرور، يخرجون به من ذنوبهم كما ولدتهم أمهاتهم تحقيقاً لقول الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وُلِدَتْهُ أُمُّهُ ) متفق عليه .

وختاماً أسأل الله أن يختم لي بالحسنى وأن يكتب لهذه الروحانيات القبول بالحسنى وأن يجعلها في ميزان حسناتي في الأخرى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخوكم / أحمد خضر حسنين

الدوحة

13/رمضان / 1437

جوال / 0097433027886

إيميل doctorahmed33027886@gmail.com

## تمهيد

### قصة مؤثرة بين يدي الروحانيات

وإنما اخترت هذه القصة وربما هناك العشرات من القصص إلا أن هذه القصة تعتبر - في ظني - حجة على كل من يؤجل الحج تكاسلاً وما أكثر القدرين على الحج ويؤجلونه دون عذر ظاهر بل البعض يؤجله بخلاً بالنفقة التي يتطلبها الحج ، وما علم المسكين أن الله وعده بالبركة وعظيم الأجر .

ولنشرع الآن في ذكر القصة وهي : قصة الحاج عثمان دابو رحمه الله تعالى من جمهورية جامبا في أقصى المغرب الإفريقي وقد تجاوز الثمانين من عمره، قصة قصّها الداعية عبد الرحمن الصويّان.( من موقع صيد الفوائد )

الشيخ الحاج عثمان دابو رحمه الله من جمهورية جامبيا في أقصى الغرب الإفريقي، تجاوز الثمانين من عمره، زرتة قبل موته في منزله المتواضع في قريته الصغيرة قرب العاصمة بانجول، وحدثني عن رحلته الطويلة قبل خمسين عاماً إلى البيت العتيق، ماشياً على قدميه مع أربعة من صحبه من بانجول إلى مكة قاطعين قارة إفريقيا من غربها إلى شرقها، لم يركبوا فيها إلا فترات يسيرة متقطعة على بعض الدواب، إلى أن وصلوا إلى البحر الأحمر ثم ركبوا السفينة إلى ميناء جدة.

رحلة مليئة بالعجائب والمواقف الغريبة التي لو دُوّنت لكانت من أكثر كتب الرحلات إثارة وعبرة، استمرت الرحلة أكثر من سنتين، ينزلون أحياناً في بعض المدن للتكسب والراحة والتزود لنفقات الرحلة، ثم يواصلون المسير.

سألته: أليس حج البيت الحرام فرض على المستطيع، وأنتم في ذلك الوقت غير مستطيعين؟! قال: نعم، ولكننا تذاكرنا ذات يوم قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام عندما ذهب بأهله إلى واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، فقال أحدنا: نحن الآن شباب أقوياء أصحاب، فما عذرنا عند الله تعالى إن نحن قصرنا في المسير إلى بيته المحرم، خاصة أننا نظن أن الأيام لن تزيدنا إلا ضعفاً، فلماذا التأخير؟! فهيجنا واستحثنا على السفر مستعينين بالله تعالى.

خرج الخمسة من دُورهم، وليس معهم إلا قوت لا يكفيهم أكثر من أسبوع واحد فقط، والدافع الرئيس لذلك هو تحقيق أمر الله تعالى لهم بحج بيته العتيق، وأصابهم في طريقهم

من المشقة والضيق والكرب ما الله به عليم؛ فكم من ليلة باتوا فيها على الجوع حتى كادوا يهلكون؟! وكم من ليلة طاردتهم السباع، وفارقهم لذيق المنام؟! وكم من ليلة أحاط بهم الخوف من كل مكان؛ ففُطَّاع الطرق يعرضون للمسافرين في كل واد؟!!

**رُبَّ لَيْلٍ بَكَيْتَ مِنْهُ فَلَمَّا صرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتَ عَلَيْهِ**

قال الشيخ عثمان: أدغت ذات ليلة في أثناء السفر، فأصابتني حمى شديدة وألم عظيم أقعدني وأسهرني، وشممت رائحة الموت تسري في عروقي:

**وَإِنِّي لِأَرعى النجم حتى كَأَنِّي على كل نجم في السماء رقيب**

فكان أصحابي يذهبون للعمل، وكنت أمكث تحت ظل شجرة إلى أن يأتوا في آخر النهار، فكان الشيطان يوسوس في صدري: أما كان الأولى أن تبقى في أرضك؟! لماذا تكلف نفسك ما لا تطيق؟! ألم يفرض الله الحج على المستطيع فقط؟!!

فتقلت نفسي وكدت أضعف، فلما جاء أصحابي نظر أحدهم إلى وجهي وسألني عن حالي، فالتفتُ عنه ومسحت دمعة غلبتني، فكأنه أحس ما بي! فقال: قم فتوضأ وصلِّ، ولن تجد إلا خيراً بإذن الله { واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون } [البقرة: 45، 46]. فانشرح صدري، وأذهب الله عني الحزن، والله الحمد.

كان الشوق للوصول إلى الحرمين الشريفين يحدهم في كل أحوالهم، ويخفف عنهم آلام السفر ومشاق الطريق ومخاطره، مات ثلاثة منهم في الطريق، كان آخرهم في عرض البحر، واللطيف في أمره أن وصيته لصاحبيه قال لهما فيها: إذا وصلتما إلى المسجد الحرام، فأخبرا الله تعالى شوقي للقاءه، واسألاه أن يجمعني ووالدتي في الجنة مع النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ عثمان: لما مات صاحبنا الثالث نزلني همٌّ شديد وغمٌّ عظيم، وكان ذلك أشد ما لاقيت في رحلتي؛ فقد كان أكثرنا صبراً وقوة، وخشيت أن أموت قبل أن أنعم بالوصول إلى المسجد الحرام، فكنت أحسب الأيام والساعات على أحرّ من الجمر.

**إذا برقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقتها المتطامن**

فلما وصلنا إلى جدة مرضت مرضاً شديداً وخشيت أن أموت قبل أصل إلى مكة المكرمة، فأوصيت صاحبي أنني إذا مت أن يكفني في إحرامي، ويقربني قدر طاقته إلى مكة، لعل الله أن يضاعف لي الأجر، ويتقبلني في الصالحين.

فيوشك أن يحول الموت بيني وبين جوار بيتك والطوافِ  
فكم من سائل لك ربّ رغباً ورهباً بين منتعل وحافي  
أتاك الراغبون إليك شعثاً يسوقون المُقلّدة الصّوافي

مكثنا في جدة أياماً، ثم واصلنا طريقنا إلى مكة، كانت أنفاسي تتسارع والبشر يملأ وجهي، والشوق يهزني ويشدني، إلى أن وصلنا إلى المسجد الحرام.

وسكت الشيخ قليلاً.. وأخذ يكفكف عبراته، وأقسم بالله تعالى أنه لم ير لذة في حياته كذلك اللذة التي عمرت قلبه لما رأى الكعبة المشرفة! ثم قال: لما رأيت الكعبة سجدت لله شكراً، وأخذت أبكي من شدة الرهبة والهيبة كما يبكي الأطفال، فما أشرفه من بيت وأعظمه من مكان!

ثم تذكرت أصحابي الذين لم يتيسر لهم الوصول إلى المسجد الحرام، فحمدت الله تعالى على نعمته وفضله عليّ، ثم سألته سبحانه أن يكتب خطواتهم وألا يحرمهم الأجر، وأن يجمعنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

خرجت من بيت الشيخ وأنا أردد قول الله تعالى : {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين } [آل عمران: 133]. إقبال جاد على الطاعة، إقبال لا يعرض عليه التكاسل أو التسوييف، إقبال تهون فيه الآلام والأكدار، إقبال تتساقط تحته كافة العراقيل والعقبات.. إقبال بهمة صادقة وعزيمة عالية تنبع من قلب متعلق بمحبة الله والامتثال لأمره.

خرجت وأنا أردد قول الله تعالى : {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق } [الحج: 127].

ثم تأملت في حال كثير من المسلمين في هذا العصر ممن تحققت فيهم الشروط الشرعية الموجبة لحج بيت الله الحرام، ومع ذلك يُسوّفون ويتباطؤون عن الحج..! ألا فليتذكر أولئك قول النبي صلى الله عليه وسلم : "من أراد الحج فليتعجل؛ فإنه قد يمرض

المريض، وتضلّ الضالة، وتعرض الحاجة" . أخرجه: أحمد (3-332) رقم (1833، 1843)، وابن ماجه، في كتاب المناسك رقم (2883)، وحسنه الألباني في الإرواء رقم (990)، والأرناؤوط في تخريجه لمسند الإمام أحمد.

جزى الله خيراً الداعية عبد الرحمن الصويّان ، وأنا أضم صوتي إلى صوته وأقول لا بد للمسلم أن يرفع همته لإصلاح دينه والقيام بأركانه كلها ما دام يستطيع ذلك ، فهو الأجدر به والأصلح لدينه والأرضى لربه تعالى ... ومن ناحية أخرى – على رأي بعض الفقهاء فإن تأخير الحج مع القدرة عليه كبيرة من الكبائر ، فهل يرضى مسلم أن يعيش أيامه ولياليه عاصياً لربه وهو يغدو ويروح يأكل ويشرب ويسمتع بمتع الدنيا فأين إيمانه؟؟ وأين غيرته على دينه؟؟

## الوقفه الأولى

### روحانيات الحاج عند خروجه للسفر صوب البيت العتيق

من روحانيات الحاج عند سفره : ما كثر ترداده في هذا المقام أن سفر الحج يذكر بسفر الآخرة ولكن هل هذا واقعي أم فكرة تدور في الذهن ثم تتلاشى .. دعونا نحلل هذه العبارة أو بالأحرى نعقد مقارنة بين ما يستثيره السفر إلى الآخرة في نفسك وبين ما يجول بخاطرك وأنت مسافر للحج :

بالنسبة للآخرة فذكرها يجعلك تتخيل الحشر والنشر والفرع والأهوال ونصب الصراط ووضع الميزان وتطير الصحف وأخذ الكتب باليمين أو بالشمال وما إلى ذلك ، فهل ذلك التذكر أو التخيل لا يجول بخاطر المسلم إلا عند إرادة الحج ؟؟ لا .. لا ينبغي أن يكون المؤمن بهذه الدرجة من الغفلة عن آخرته إلى هذا الحد لأنه ربما لا يسافر إلا الحج وهو على مشارف الخمسين أو الستين من عمره ، فلو ظل غافلاً عن آخرت إلى أن يحين موعد سفره إلى الحج فإنه سيظل غافلاً في أداء عباداته من صلاة وذكر وتلاوة للقرآن ونحوها فلا يكاد يرق له قلب أو تدمع له عين .

إذن هذا الاحتمال لمعنى (أن سفر الحج يذكر بسفر الآخرة) غير صحيح ولا يؤدي غرضاً بل يدل على غفلة عظيمة عن الله تعالى.

هناك احتمال آخر ألا وهو أن المسافر إلى الحج سيحزن حزناً شديداً بالطبع البشري ويركبه من الهموم الشئ الكثير ، لأنه سيفارق أهله وولده وأقاربه ومعارفه ووطنه لمدة تطول أو تقصر كما أن سيتعب بدنياً في قطع مسافة السفر كما أنه ستحيط به الهموم إذ لا يدري ما سيلاقيه في سفره من متاعب ومن الناس من يخاله الرعب لمجرد كلمة سفر .

لكن السؤال هل المسافر إلى الآخرة يحمل من الهموم ما يحمله المسافر ؟ بلى .. وأشد لأنه سيفارق كل ما أشرنا إليه مفارقة طويلة إن لم تكن أبدية ... وسيلاقى من المتاعب البدنية ما لا يوصف ، إن لم يكن من أهل التقوى في الدنيا .

من روحانيات الحاج عند سفره : ما جاءت به الآية القرآنية لتزيل عنك أيها الحاج تلك الهموم والغموم وترشدك إلى أسباب الراحة والفرح والسرور ، فقال تعالى : ( وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ) فقد قال بعض أهل التفسير : في بيان معناها :

أن المراد : وتزودوا من التقوى ، والدليل عليه قوله بعد ذلك : ( فإن خير الزاد التقوى ) وتحقيق الكلام فيه أن الإنسان له سفران :

سفر في الدنيا ، وسفر من الدنيا ، فالسفر في الدنيا لا بد له من زاد ، وهو الطعام والشراب والمركب والمال ، والسفر من الدنيا - إلى الآخرة - لا بد فيه أيضا من زاد ، وهو معرفة الله ومحبته والإعراض عما سواه ، وهذا الزاد خير من الزاد الأول لوجوه :

**الأول :** أن زاد الدنيا يخلصك من عذاب موهوم ، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب متيقن ( إن لم تكن من الأتقياء ) .

**وثانيها :** أن زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع ، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم .

**وثالثها :** أن زاد الدنيا يوصلك إلى لذة ممزوجة بالآلام والأسقام والبليات ، وزاد الآخرة يوصلك إلى لذات باقية خالصة عن شوائب المضرة ، أمانة من الانقطاع والزوال .

**ورابعها :** أن زاد الدنيا وهي كل ساعة في الإدبار والانقضاء ، وزاد الآخرة يوصلك إلى الآخرة ، وهي كل ساعة في الإقبال والقرب والوصول .

**وخامسها :** أن زاد الدنيا يوصلك إلى منصة الشهوة والنفس ، وزاد الآخرة يوصلك إلى عتبة الجلال والقدس ، فثبت بمجموع ما ذكرنا أن خير الزاد التقوى .

إذا عرفت هذا فلنرجع إلى تفسير الآية ، فكأنه تعالى قال : لما ثبت أن خير الزاد التقوى فاشتغلوا بتقواي يا أولي الألباب ، يعني إن كنتم من أرباب الألباب الذين يعلمون حقائق الأمور وجب عليكم بحكم عقلكم ولبكم أن تشتغلوا بتحصيل هذا الزاد لما فيه من كثرة المنافع ، وقال الأعشى في تقرير هذا المعنى :

**إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقبت بعد الموت من قد تزودا**

**ندمت على أن لا تكون كمثله وأنت لم ترصد كما كان أرصدا**

وأنا أقول : لكي لا يكون سفر الحاج إلى مكة مماثلاً لأي سفر آخر، من كونه لا يؤجر عليه ، فعليه أن يستحضر ما قاله الغزالي رحمه الله ( وأما الخروج من بلده: فليعلم عنده أنه مفارق الأهل والوطن، متوجه إلى الله عز وجل في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا ، فليحضر في قلبه ماذا يريد، وأين يتوجه، وزيارة من يقصد؟ وليعلم أنه متوجه إلى ملك

الملوك في زمرة الزائرين له، الذين نودوا فأجابوا، واستنهبوا فنهضوا، وقطعوا العلائق، وفارقوا العلائق، واقبلوا على الله، سائلين إياه أن يرزقوا منتهى مناهم، ويسعدوا بالنظر إلى وجهه الكريم. وليستحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا اتكالاً على أعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال، ولكن ثقة بفضل الله عز وجل، وافداً إليه؛ إذ قال جل جلاله: {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله} (النساء:100).

**فمن روحانيات الحاج عند سفره :** ما لاحظته في نفسي عندما أريد السفر إلى مكان فهناك أمور كثيرة لا بد من تسويتها والإطمئنان عليها ، وعلى سبيل المثال أوصي زوجتي على الأولاد ، وأوصي الجيران على الأسرة الكريمة، وأتأكد من الوضع السليم لسيارتي ، وأرد الديون التي علي أو أعفو من لي دين عليه ... أذهب إلى فلان لتسوية الخلاف الذي له سنوات .. استرضي بعض الأقارب وأودعهم .. ولا أنسى توديع زملائي في العمل .. وغير ذلك كثير ... كل هذا لأنني سوف أسافر وأعود بعد أيام قلائل وكأنني لن أراهم بعد ذلك أبداً .. وفي هذا المقام يردد المسافر ( الموت من الحياة ما معروف ) ... فكيف إذا كان السفر بلا عودة وهو سفر الآخرة؟؟؟

**ومن هنا كانت من روحانيات الحاج عند سفره قولهم :** (أن سفر الحج يذكر بسفر الآخرة ) ألا أذهب لآخرتي وهناك من يطالبني بشئ .. لا مادي ولا معنوي وهذا الذي سماه الغزالي بقطع العلائق يعني حسم العلاقات التي فيها شئ من المطالبات في الآخرة .. وله كلام حسن جميل حيث يقول : ( وأما قطع العلائق: فمعناه رد المظالم، والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي. فإن كنت راغباً في قبول زيارتك، فنفذ أوامره - الله سبحانه - ورد المظالم، وتب إليه أولاً من جميع المعاصي، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك؛ لتكون متوجهاً إليه بقلبك، كما أنك متوجه إلى بيته بظاهرك. فإن لم تفعل ذلك، لم يكن لك من سفرك أولاً إلا النصب والشقاء، وآخر إلا الطرد والرد.

وليقطع العلائق عن وطنه انقطاع من قطع عنه، وقدر له أن لا يعود إليه. وليكتب وصيته لأولاده وأهله، فإن المسافر وماله لعلّى خطر إلا من وقى الله سبحانه. وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة، فإن ذلك بين يديه على القرب، وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر، فهو المستقرّ وإليه المصير. فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر، عند الاستعداد لهذا السف).

## الوقفه الثانية

### روحانيات الحاج عند وصوله الميقات ولبسه لملايس الاحرام

تأمل أخي الحاج تلك الجموع الغفيرة التي وصلت إلى الميقات ثم وقد لبست ملايس الاحرام بيضاء ناصعة البياض كقلوبهم في تلك اللحظات .. ثم تأمل الأفواج التي وصلت لتوها أنظر إلى الحجاج وهم ينزلون من باصاتهم وسياراتهم الخاصة وهم يتجهون إلى مسجد الميقات وهو يحملون ملايس الاحرام تعلوهم الابتسامة وقد نسوا تعب السفر وطول الطريق وشدة المعاناة .. من هنا تعلم أن الروح قد سمت وأن الحب قد ظهر فخلطوا مرارة السفر بحلاوة الإيمان فطغت حلاوة الإيمان على مرارة السفر فتم لهم الفرح والسرور بسسلاة الوصول ... هل تريد روحانية أعظم من هذه .. ما هو شعورك وأنت بين تلك الجموع التي أحرمت أو في طريقها إلى الاحرام .

ذاك ميقات واحد هو الذي نزلت فيه أريدك الآن أن تتخيل جميع المواقيت يحدث فيها ما تراه بعينك وكلهم على تلك الدرجة من الحيوية والنشاط والشوق إلى الوصول إلى البيت العتيق بل مرادهم إرضاء رب البيت الغفور الرحيم والاعتذار إليه عما سلف من خطايا وذنوب وغفلة استمرت سنين عددا .

لقد صور العلامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي الوتري (توفي 662 هـ) - رحمه الله - ذلك المشهد وأفصح عما في بواطن الحجاج بقوله :

ونادى مناد للحجيج ليحرموا	فلم يبق إلا من أجاب ولباه
وجردت القمصان والكل أحرما	ولا لبس لا طيب جميعاً هجرناه
ولا لهو ولا صيد ولا نقرب النساء	ولا رفث لا فسق كُلاً رفضناه
وصرنا كأموات لففنا جسومنا	بأكفاننا كل ذليل لمولاه
لعل يرى ذل العباد وكسرهم	فيرحمهم رب يرجون رحماه
ينادونه : لبيك لبيك ذا العلا	وسعديك كل الشرك عنك نفينا
فلو كنت يا هذا تشاهد حالهم	لأبكاك ذاك الحال في حال مرآه
وجوههم غير وشعث رءوسهم	فلا رأس إلا للاله كشفناه

لبسنا دروعاً من خضوع لربنا      وما كان من درع المعاصي خلغناه  
وذاك قليل في كثير ذنوبنا      فيا طالما رب العباد عصيناه

وأدلى ابن القيم - رحمه الله - بدلوه في تصوير ذات المشهد في أبيات لطاف فقال :

أَمَا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْنَهُ      وَلَبَّوْا لَهُ عِنْدَ الْمَهَلِّ وَأَحْرَمُوا  
وَقَدْ كَشَفُوا تِلْكَ الرُّؤُوسَ تَوَاضِعًا      لِعِزَّةٍ مَن تَعْنُو الْوُجُوهَ وَتُسَلِّمُ  
يُهَلُّونَ بِالْبِيدَاءِ لِبَيْكَ رَبَّنَا      لَكَ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ تَعْلَمُ  
دَعَاهُمْ فَلَبَّوْهُ رِضًا وَمَحَبَّةً      فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ  
تَرَاهُمْ عَلَى الْأَنْضَاءِ شُعْنًا رُؤُوسُهُمْ      وَعُغْبَرًا وَهُمْ فِيهَا أَسْرٌ وَأَنْعَمُ  
وَقَدْ فَارَقُوا الْأَوْطَانَ وَالْأَهْلَ رَغْبَةً      وَلَمْ يُنْتَهِمِ لِدَائِهِمْ وَالتَّنَعُّمُ  
يَسِيرُونَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَفِجَاجِهَا      رَجَالًا وَرُكْبَانًا وَلِلَّهِ اسْلَمُوا

لقد ذكر العلامة ابن القيم وأبو بكر البغدادي رحمهما الله تعالى في تلك الأبيات التلبية وهي عندي لها شأن آخر يطول ذكره، ولهذا سيأتي الحديث عنها في وقفة تخصصها بكلمات تكشف عن حقيقتها .

ومن روحانيات الحاج عند إحرامه : أن يلفت إلى أن أول ما يجب فعله من أفعال الحج هو التجرد من ملابسه العادية ومن هذا التجرد أفهم إشارة وهي أن أتجرد من الهوى واتباع المزاجية في حياتي ، لأن ذلك هو السبب في المخالفات الشرعية ومما يدل على هذه الإشارة ما يتبع الإحرام من محظورات هي مباحة قبل الإحرام ولكنها حُرمت بسبب الإحرام في إشارة واضحة إلى وجوب التجرد من هوى النفس وعدم تلبية مطالبها ، وأيضاً اختيار الإزار والرداء يشيران إلى التجرد ظاهراً وباطناً .

فمن روحانيات الحاج من تلك الإشارة أنه يمكنه أن يطرح عنه الرداء وفي هذا لفت انتباه إلى أن الظاهر أي أن ما ظهر من أعماله للناس لا يعييه رؤيتهم إياه ، ولكن الإزار لا يمكن أن يخلعه والناس ينظرون ذلك هو الباطن... تلك هي العورات الباطنة التي لا يمكن أن يقبل أحد أن يطلع عليها الآخرون كما لا يرضى أحداً أن يرى عورته التي تستر جسده .

ومن روحانيات الحاج في بقائه على تلك الهيئة أنه يستمر من ساعة الدخول في الحج إلى صبيحة يوم العيد وربما يستمر إلى المساء حيث يتحلل بالرمي وطواف الإفاضة أو الحلق طوال هذه المدة والرداء والإزار يناديان عليه انتبه أيها الحاج إلى ظاهر عملك وباطنه مدة ليست بالقصيرة يُدعى فيها الحاج إلى تجريد أعماله لله كما تجرد بإحرامه لله ... وهل الله يريد مني تجريد الظاهر دون الباطن؟؟

نسمع في هذا قول سيد الأنام عليه الصلاة والسلام : ( إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) وهل الله يريد منا لباس الإحرام دون لباس التقوى استمع إلى قوله تعالى : ( ولباس التقوى ذلك خير ) فلا يزال الحاج مستحضراً لمعاني التقوى والإخلاص لله تعالى وكلما زاد إخلاصه زاد شوقه لله تعالى .

تلك هي إشارة الإحرام من حيث الملبس .. وتلك هي روحانياته من تلك الإشارة .

وللأستاذ : يحيى رضا جاد كلام طيب في هذا المقام، حيث يقول ( من أسرار ثياب الإحرام :

- إن ثياب الإحرام البيضاء التي نرتديها على اللحم، والتي يشترط أن تكون غير مخيطة، هي رمز الوحدة الكبرى التي تذوب فيها الأجناس، ويتساوى فيها الفقير والغني ؛ لأن في هذا الثوب البسيط معنى الأخوة والمساواة برغم تفاوت المراتب والثروات.

-وهي رمز للخروج من زينة الحياة الدنيا.. تماماً كما نأتي إلى الدنيا في لفة، ونخرج منها في لفة.

- وهي رمز للتجرد التام أمام حضرة الخالق؛ لأننا أمام الله لا نكاد نساوي شيئاً، بل نحن بالنسبة له سبحانه: لا شيء، فعلياً أن نخلع كل ثياب الغرور والزينة، متجردين من شهوات النفس والهوى، حابسين إياها: عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله، وما التلبية بعد الإحرام إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وبالترام الطاعة لله، والامتثال لأوامره.

- وثياب الإحرام ثوب من قطعتين؛ رمزاً لستر العورة الظاهرة، وستر العورة الباطنة.. الأولى: حياة من الخلق، والثانية: حياة من الخالق.. حياة من سوء الخلق الظاهر الذي تعرفه الناس، وحياة من العورة الباطنة -عورة القلوب والنفوس والشهوات- التي لا يراها، ولا يطلع عليها، (إلا الله).

وهناك إشارة ثانية من حيث المكان فهو يدخل في أعظم البقاع قدراً وأشدّها قداسةً وأحبها إلى الله تعالى ومن هنا كان من الواجب علي أن استشعر عظمة الله تعالى فاجتنب ما يغضبه ظاهراً وباطناً

وهناك إشارة ثالثة من حيث الزمان ألا وهي أيام العشر الأول من شهر ذي الحجة والتي لا يخفى على أحد أنها أفضل أيام الدنيا والله تعالى أقسم بها فقال (والفجر وليال عشر).

لهذا حثنا صلى الله عليه وسلم على اغتنام هذه النفحات حيث قال: "اطلبوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، فاسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمّن روعاتكم" (أخرجه ابن الدنيا والطبراني) ، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: "إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحةٌ فلا يشقى بعدها أبداً" (أخرجه الطبراني).

فاجتمع للمحرم ثلاثة أشياء كلها تدعوه إلى تعظيم الله والسعي إلى مرضاته فهو بلسان حاله يقول: (وعجلت إليك رب لترضى).

## الوقفة الثالثة

### روحانيات الحاج في التلبية

والآن بعد معرفة لسان الحال ننظر الى لسان المقال ألا وهو التلبية ، فإن المحرم يدخل أعظم البقاع واقدسها واعظمها حرمة وهو يردد : لبيك اللهم لبيك وذلك يعني انني أجيب دعوتك لي حيث دعوتني إلى بيتك العتيق(وأذن في الناس بالحج ياتوك) وها أنا قد اتيت ملبياً... وهنا أتساءل هل أجبت الله حين دعاني لطاعات آخر حين دعاني لها كما أجبته للحج ؟

دعاني ربي لإقامة الصلاة وابتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعاني ربي للبر بالوالدين وإلى صلة الأرحام والرحمة بالايتام فهل أجبته كما أجبته للحج دعاني ربي لأسباب المغفرة ودخول الجنة فقال ( والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ) كم نسبة الإجابة في ذلك كله

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا وارحم أيا رب ذنباً قد جنيناه

كم نطلب الله في ضر يحل بنا فإن تولت بلاياتنا نسيناه

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا فإن رجعنا إلى الشاطئ عصيناه

ونركب الجو في أمن وفي دعة فما سقطنا لأن الحافظ الله

ومن معاني التلبية : الحب ، ففي اللغة العربية يقولون امرأة لبة أي محبة لولدها ومن هنا كان على الحاج إذا رفع صوته بالتلبية استشعر حبه لله تعالى واستشعر حبه للإيمان وحبه للمكان المقدس الذي هو فيه وكذا حبه لأداء المناسك وخاصة بعد طوافه بالبيت وسعيه بين الصفا والمروة وهنا يتذكر أسرة سيدنا إبراهيم عليه السلام

- تذكرت أمرا عجبيا وهو أن هذا المكان قصده الأنبياء والمرسلون (كما جاء في الاخبار) وهم أيضا يلبون بالصيغة التي نقولها نحن اليوم فقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بواد فقال ( كاني بموسى بن عمران له جوار بالتلبية ) أي رافعا صوته وكذلك اخبر عن يونس عليهما السلام ، وفي هذا اشارات هامة منها

- اننا بحمد الله على هدي الأنبياء والمرسلين ونلبي كما لبوا ونحج كما حجوا ، ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) .

- أن في هذا بشارة لنا حيث سرنا على هديهم وخصوصا إمامهم وسيدهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وهو عنه اخذنا صيغة التلبية

لا زلت مع معاني التلبية إذ من معانيها الإقامة أي أنا مقيم على طاعتك ربي فلا أزال انتقل من طاعة إلى أخرى فهاهي المناسك في انتظاري ساقف بعرفة وبيت بمزدلفة ومنها أذهب الى منى في صبيحة يوم العيد يوم الحج الأكبر لارمي الجمرة الكبرى واحلق شعري واطوف بالبيت ثم أرجع إلى منى للمبيت بها ولرمي الجمرات الثلاث وبعدها طواف الوداع. تلك طاعات متتابعة ليس بينها فواصل ومن هنا كانت التلبية شعار الحاج إلى رمي جمرة يوم العيد فمن هنا فهمت معنى مقيم على طاعتك.

ومن روحانيات التلبية : أن الطاعة التي انا مقيم عليها في حياتي كلها إقامة الصلاة ولكن وجدت لها في المسجد الحرام طعما آخر، حيث حضور القلب وقلة الوسواس التي تعودت عليها قبل المجئ إلى هنا فلا أدري ما هي الأسباب التي من أجلها كان أداء الصلاة بصورة أفضل أقول .

لعل السبب هو إزالة المشاغل عن تفكيري فأنا هنا جنئت متفرغا للطاعة مقبل عليها .

أو لعل السبب هو قلة المعاصي لأن هذه المعاصي هي أكبر حائل يحول بين العبد وبين الخشوع في الصلاة والحضور في الذكر .

أو لعل السبب هو إحساسي بعظمة المكان الذي انا فيه ومن ثم انتقلت الى الشعور بعظمة الله ومن هنا كان الخشوع في الصلاة .

وربما تكون تلك الأسباب مجتمعة هي التي جعلت الصلاة هنا بجوار البيت المعظم لها طعم آخر، حيث مضاعفة الأجور. كما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة" (أخرجه أحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين)،

ومن روحانيات التلبية : أن الأنبياء والمرسلين كانوا يعلنون بالتوحيد لبيك لا شريك لك وان كانوا معصومين منه (ما كان ان نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا) وهذا الإعلان من باب التلذذ باللهج بالتوحيد، ولكل موحد منا ان يقتدي بهم فيستشعر فضل الله عليه تلك الأسرة الكريمة التي خلد الله ذكرها بجعل آثارها مناسك حج البيت، فالبيت بناه

إبراهيم عليه السلام بمعاونة ولده إسماعيل عليه السلام وزمزم كان ه وسببها والسعي بين الصفا والمروة من آثار أمه هاجر عليها السلام

واما نفع ذلك الحب في الآخرة فهو أن يحشر معهم كما في قوله تعالى ( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ) وفي الحديث الشريف ( المرء مع من أحب يوم القيامة )

فالتلبية تحرك مشاعر الحب لهم وآثارهم ولا يخفى أن هذا الحب ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة .

اما في الدنيا فلأن الحب يعين على الاقتداء بل يدفع للاقتداء بالمحبوب ، وأيضا حب الأنبياء والمرسلين واجب ولا يثبت إيمان إلا بالإيمان بهم وبحبهم ، وإنما يزداد هذا الحب كلما ازداد المؤمن علما بحالهم وأخلاقهم وتعاملهم مع الله وحسن خلقهم مع المخلوقين ، وانما قلت هذا من منافع حبهم في الدنيا لان قوة الايمان مطلوبة لتتمام العبادات والصبر عليها وخاصة الحج لما بطرا فيه على الإنسان من تغيرات لا تخفى أحد من الحجاج، فلو عاش الإنسان بمشاعره مع الخليل عليه السلام ومع أسرته الكريمة لذهبت عنه المشاق التي يجدها كثير من الحجاج عند أداء المناسك.

**ومن معاني التلبية الخالص** مأخوذ من قولهم لب الشئ أي خالصه فقول الحاج لبيك اللهم لبيك أي اخلصت قلبي لك وجعلت لك لبي وخالصتي.

**ومن روحانيات التلبية :** الاستفادة هذا المعنى من معاني التلبية أن العبد لا بد له من إخلاص أعماله لله تعالى عموما وإخلاص الحج خصوصا ( واتموا الحج والعمرة لله ) و ليستشعر الحاج معنى كون العمل لله ، الله الرحمن الرحيم الذي يعطي ويمنع ، الله الكريم الذي لا حدود لكرمه ولا نهاية لمنحه وعطاياه ، الله الذي يستر العيوب ويغفر الذنوب ويتجاوز عن السيئات ، من عرف الله لم يلتفت لسواه ولم يرج غيره سبحانه .

ألا خاب وخسر من حاج ليقال حج فلان.. وكان حجه مردودا عليه .. وكان كاذبا في تلبيته لأنه ليس خالصا لله ولم يحقق معنى التلبية .

وهذا المعنى من معاني التلبية يؤكد المعنى السابق وهو الحب لان من ادعى محبة أحد فلا بد من ان يخلص في التعامل معه .. وإلا لم يكن حب مخلصا في محبته .

وفي الحديث إشارة إلى أن الكون المحيط بك أيها الملبى يتفاعل معك ويصدق بذكر الله تعالى ( وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) فهذا شرف لك حيث انضمت في سلك الكون العابد لله تعالى دوماً.

وروى الترمذي وابن ماجة وغيرهما عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ : أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : " الْعَجُّ وَالشَّجُّ " رواه الترمذي وابن ماجة ؛ وَالْعَجُّ هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ ، وَالشَّجُّ هُوَ نَحْرُ البُذْنِ .

ولعلنا نفهم من تلك المعاني والروحانيات المتعلقة بالتلبية السبب الذي من أجله كانت التلبية شعاراً في الحج وكان جزاء الملبى الجنة.. كما جاء في الحديث الصحيح (ما أهل مهل قط إلا بشر وما كبر مكبر قط إلا بشر ) قيل بالجنة يارسول الله؟ قال ( نعم ) رواه الترمذي وابن ماجة

مع الله في سبحات الفكر

مع الله في لمحات البصر

مع الله في مطمئن الكرى

مع الله عند امتداد السهر

مع الله والقلب في نشوة

مع الله والنفس تشكو الضجر

مع الله في أمسنا المنقضي

مع الله في غدنا المنتظر

مع الله في عنفوان الصبا

مع الله في الضعف عند الكبر

مع الله في الجد من أمرنا

مع الله في جلسات السمر

مع الله في حب أهل التقى

مع الله في كره من قد فجر

ومن استحضر معاني التلبية وما رود في فضلها رق قلبه ودمعت عينه بلا شك ولا ريب.

## الوقفه الرابعة

### روحانيات الحاج عند رؤية الكعبة والطواف بالبيت العتيق

ها نحن قد وصلنا إلى الكعبة المشرفة لنؤدي طواف القدوم حيث كان الحاج مفردا أو طواف العمرة إن كان متمتعا .

فيا ترى ما هي روحانيات الحاج عندما تقع عيناه على الكعبة المشرفة ... هنا تختلط المشاعر بين الحمد والشكر لله الذي يسر الوصول وبين مقام الهيبة والتعظيم لرب البيت ولتتذكر هذه الإشارة من الرب العلي ( فليعبدوا رب هذا البيت ) ما الذي تستشعره وأنت تقرأ ( هذا البيت ) من المشير ؟ إنه الله تعالى ... وما المشار إليه ؟ إنه ( البيت ) العتيق .. وأين تقف أنت الآن ؟

قبل أن تحيب أتركك مع أبيات لابن القيم تصف الحال وتعبر عما في الجنان :

ولمّا رأّت أبصارهم بيته الذي	قلوب الورى شوقاً إليه تصرّم
كأنهم لم ينصبوا قط قبله	لأن شقاهم قد ترحل عنهم
فليله كم من عبرة مهراقة	وأخرى على آثارها لا تقدّم
وقد شرقت عين المحب بدمعها	فينظر من بين الدموع ويسجّم
إذا عاينتته العين زال ظلامها	وزال عن القلب الكئيب التأمم
ولا يعرف الطرف المعاین حسنة	إلى أن يعود الطرف والشوق أعظم
ولا عجب من ذا فحين أضافه	إلى نفسه الرحمن ؛ فهو المعظم
كساه من الإجلال أعظم حلة	عليها طراز بالملاحة معلّم
فمن أجل ذا كل القلوب تحبه	وتخضع إجلالا له وتعظم

وكأني بالحاج يشعر بما شعر به ذلك العالم الرباني عند رؤية ( هذا البيت ) حيث يقول : ( وأما وقوع البصر على البيت: فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب، ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت؛ لشدة تعظيمه إياه ، وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم، كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم. واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة، وإحاقه إياك بزمره الوافدين عليه. واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى

جهة الجنة، أملين لدخولها كافة، ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين، انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين).

ما الذي أشعر به وأنا أنظر إلى ( هذا البيت ) ربما بحب له وربما بتعظيم وربما لا يستطيع البعض أن يعبر عما في نفسه لأن الحب ليس للبيت بل لرب البيت وإجلال البيت تابع لإجلال الرب العظيم...وها هنا درجات متفاوتة في قلوب المؤمنين أعني في درجات الحب والتعظيم وكل ذلك إنما هو تابع لمعرفة الله تعالى.

ولله در أبو بكر البغدادي حيث قال :

وما زال وفد الله يقصد مكة  
فضجت ضيوف الله بالذكر والدعا  
وقد كادت الأرواح تزهب فرحة  
تصافحنا الأملاك من كان راكبا  
إلى أن بدا البيت العتيق وركناه  
وكبرت الحجاج حين رأيناه  
لما نحن من عظم السرور وجدناه  
وتعنتق الماشي إذا تتلقاه

وقال رحمه الله أيضاً وهو يحسن الظن بالله ويتخيل جوابه لجميع الحجاج :

فيا مرحبا بالقادمين لبيتنا  
علي الجزا مني المثوبة والرضى  
فطيبوا سروراً وافرحوا وتباشروا  
ولا ذنب إلا قد غفرناه عنكم  
إلى حججتم لا لبيت بنينا  
ثوابكم يوم الجزا أتولاه  
وتيهوا وهيموا بابنا قد فتحناه  
وما كان من عيب عليكم سترناه  
فهذا الذي نلنا بيوم قدومنا  
وأول ضيق للصدور شرحناه

وأما الروحانيات التي عند استلام الحجر الأسود فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الأرض يصفح بها خلقه كما يصفح الرجل أخاه) رواه الشهاب في "مسنده".

كم في استلام الحجر الأسود من رهبة وهيبة وعظمة وإجلال .. فهو تجديد للعهد مع الرب .. ولهذا جاء في الأثر أن يقول الحاج في أول شوط ( اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم )

ولذا من روحانيا استلام الحجر أن يتذكرالمقبل له ( وكم في الحجر الأسود من تكفير للسيئات وسكب للعبرات وتوبة عن كبائر الخطيئات ، هنا في الطواف يشعر العبد بتنزل الرحمات ) .

ومن روحانيات الطواف حول البيت : أنه يعني لفت انتباه المسلمين إلى المركزية أو المحورية في تحديد الأهداف مع عدم الغفلة عنها. . يستوي في ذلك الفرد أو الجماعة إذ الطائف يطوف حول البيت ويعلم انه انما يريد مرضاة رب البيت .

ومن روحانيات الطواف حول البيت : إعلان الطاعة المطلقة لله تعالى دون البحث عن حكمة أو علة لأنه يعلم أن الله حكيم في امره ونهيه وإن لم يفهم ما الحكمة من ذلك الأمر أو النهي... يكفي يقينه في حكمة الله وعلمه سبحانه .

وهذه الروحانيات تجره إلى الوصول الى اليقين بأن لله حكمة في اقداره في الكون .. وربما يتساءل الكثيرون عما آل إليه حال المسلمين في هذا العصر مما يحزن له القلب وتدمع له العين مما لست بحاجة الى وصفه ... ياتيك الجواب بأن الله قد وضع سننا لا بد من مراعاتها في حياتنا لنصل العز والتمكين. . مثال ذلك قوله تعالى ( إن تنصروا الله ينصركم) كم منا عنده استعداد لنصرة ديننا الحنيف وتقديمه على الدنيا؟؟

ومثال آخر قوله تعالى ( من يعمل سوءا يجز به ) كم يا ترى هي نسبة السوء في حياتنا ... ترك للصلوات ومنع للزكوات وتناول المحرمات؟؟؟

ومثال ثالث للسنن الإلهية التي نراها رأي العين كالسابقتين ( والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ) كم نسبة الظلم في حياتنا ... ظلم في البيوت للأولاد والزوجات . وظلم للموظفين في الوزارات والهيئات الحكومية بل والمؤسسات الخيرية .. هذا الملف يملأ الصدر حزنا والحلق مرارة .

ومن روحانيات الطواف الدعاء فالطائف يدعو ويكثر من سؤال الله والثناء عليه والدعاء في الطواف طعم آخر لأن الدعاء إلى الإجابة أقرب . ومن المفترض ان يكون القلب حاضرا مع كل دعوة يدعو بها أو ذكر يلفظ به .

مما يزيد الدعاء حلاوة علم الطائف بأنه يدعو الله وهو في بيته .. إذا كان الواحد منا لا يدخل بيته إلا من يحب فالله تعالى اذن لنا ووقفنا لدخول بيته - المسجد الحرام - ووقفنا للطواف حول كعبته المشرفة أليست تلك علامة على حبه لنا وعلى اجابة دعوتنا .

والحديث عن الطواف ذو شجون وألطف . وروح وريحان. .. وتجديد للإيمان وإقامة لذكر الرحمن.... وهو كالصلاة في الخشوع والخضوع . ولذا كان السلف يطوف أحدهم وكأن على رأسه الطير. .. فلا ينشغل الطائف بشئ سوى ما هو مطلوب منه من الذكر الدعاء وطلب مرضاة رب الأرض والسماء

**ومن روحانيات الطواف حول البيت الشعور بعلو الهمة والاي شغل العبد نفسه بسفاسف الأمور إذ هذا البيت طاف به الأنبياء والمرسلون عليهم السلام .**

وهناك بيت يقابل الكعبة اسمه بالبيت المعمور وهذا في السماء السابعة وتطوف حوله سبعون الف ملك .

فالملائكة تطوف البيت المعمور والأنبياء والمرسلون طافوا بالكعبة ونحن معاشر المئمنين نطوف كما طاف الصالحون ، ومن هنا قلت ينبغي للطائف ان يكون عالي الهمة طالبا لمعالي الأمور. .. ولو كان الهدف الذي حدده غير واضح لمن حوله ..ربما الكثيرون يطوفون بالبيت ولا يعلمون شيئا عن تلك الحكم أنفة الذكر فيخلوا طوافه من الناحية التعبديّة و الخشوع والخضو لله تعالى .

**ومن روحانيات الطواف صلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام وفي هاتين الركعتين تجديد للبراءة من الكفر وأهله.. بقراءة سورة الكافرون في الركعة الأولى وتجديد للتوحيد الخالص لله تعالى بقراءة سورة الإخلاص .. ومن هنا يتذكر المؤمن ما قام النبي صلى الله عليه وسلم من جهاد بالقرآن الكريم وجهاد بالسنان في تطهير الكعبة المشرفة من الأصنام التي كانت في داخلها ومن حولها. . بلغ عدد الأصنام 360 صنما فتأمل كمية الشرك بالله العظيم الذي كان يمارسه العرب حول البيت العتيق وفي أظهر البقاع .**

أقول من استرجع تاريخ الكفر في مكة المكرمة قبل الدخول في ركعتي الطواف وجد روح الإيمان بالله تسري في قلبه عند قراءة سورتي الكافرون والإخلاص. . ومن هنا يتذكر نعمة الله عليه بالإيمان بل ويشعر بطعم العزة بالإسلام .

تلك سنة الله في إقامة الدين ونصرته لعباده المؤمنين.. وأما سنته في شؤون الدنيا فقد قال الله تعالى ( كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ) هذه الآية الكريمة تبين أن الاستفادة من سنن الله في الكون لكل من اجتهد في الوصول إليها فمثلا قوانين البناء وإعمار الأرض لمن قام بها على وجهها ... ولو كان كافرا .. ومن قصر في مراعاة تلك القوانين لم يصل إلى مراده ولو كان مؤمنا .

**ومن روحانيات الطواف الدعاء عند الملتزم وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة** وسمى بذلك لأن العبد يلتزمه للتضرع والدعاء وطلب المغفرة ويقال له الحطيم لأنه يحطم الذنوب أي يزيلها عن صاحبه، وينبغي على من وفق للوصول إليه أن يستشعر ضعفه وحقارته وكثرة ذنوبه وخطاياها فيكون في حالة تغلب عليه فيها هيبية الموقف وعظمة المكان وهنا تدمع العينان ويرتجف الجنان وينادي يا منان يا ذا الجلال والإكرام اغفر واعف وتكرم . الخ ما يدعو به .

**ومن روحانيات الطواف** أن يشرب من زمزم ولينو نية صالحة فقد شربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعطش يوم القيامة.. وشربه ابن عباس رضي الله عنهما وقال اللهم إني أسألك علما، ورزقا واسعا، وشفاءا من كل . وشربه بعض العلماء لنيل درجة معينة من العلم..فقالها وهكذا

**وللأستاذ : يحيى رضا جاد كلام طيب في هذا المقام :** ( من أسرار الطواف حول الكعبة

- إن الطواف رمز للحب والتعلق الكاملين بالله: شعوراً وقولاً وفعلاً.. فأنت تطوف حول بيته سبحانه بقلبك وعقلك وقدميك.. فما الطواف -في حقيقته- إلا دوران للقلب والقلب حول قدسية الله؛ صنع "المحب" مع "المحبوب المنعم"، الذي تُرى نعمته ولا تُدرك ذاته.

- وهو رمز لدوران الأعمال حول قطب واحد، واستهداف الحركات والأفكار لهدف واحد: هو الله؛ حيث كل شيء منه وإليه.. فالطواف هو التعبير الجسمي والروحي - بالكلمة والفعل والقلب- عن "توحيد الله" وعن "مدى إخلاصك له" وعن وحدة أهدافك الظاهرة والباطنة بتحليقها حول مراد الله واستهدافها لرضاه ) .

ولله در البغدادي حيث قال :

ففي ربعمهم لله بيت مبارك إليه قلوب الخلق تهوى وتهواه

يطوف به الجاني فيغفر ذنبه ويسقط عنه جرمه وخطاياها

فكم لذة كم فرحة لطوافه  
نطوف كأننا في الجنان نطوفها  
فواشوقنا نحو الطواف وطيبه  
فمن لم يذقه لم يذق قط لذة  
فوالله ما ننسى الحمى فقلوبنا  
تري رجعة هل عودة لطوافنا  
ووالله ما ننسى زمان مسيرنا  
فالله ما أحلى الطواف وأهناه  
ولا هم لا غم فذاك نفينا  
فذلك شوق لا يعبر معناه  
فذقه تذق يا صاح ما قد أذقناه  
هناك تركناها فيا كيف ننساه  
وذاك الحمى قبل المنية نغشاه  
إليه وكل الركب قد لذ مسراه

## الوقفة الخامسة

### روحانيات الحاج في السعي بين الصفا والمروة

بعد صعودك على جبل الصفا ماذا ترى أمامك ؟ حشد هائل وعدد كبير من الناس .. منهم الماشي ومنهم الذي يقاد على الكرسي ومنهم المهول ومنهم الذي وقف على هذا الجبل أو ذاك رافعاً أكف الضراعة يسأل ربه ... وفي أثناء سيرك تسمع تهليلاً أو دعاءً أو تكبيراً .. وربما ترى الخاشع أو الرافع لصوته .. وكلهم يطمع في الرحمة والمغفرة ( رب اغفر وارحم واعف عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم )

وأنت الآن بعد تفيق من دهشتك لكثرة أولئك الحجاج إذا بك ترفع يديك قائلاً ما ورد عن حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم : لما دنا من الصفا قرأ: ( إن الصفا والمروة من شعائر الله ) أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ثلاثاً، وحمده لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا أنصبت قدماء في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدنا مشى حتى إذا أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا ( رواه مسلم).

**فمن روحانيات الحاج في السعي :** أن يتذكر أنه الآن أمام شعيرة عظيمة من شعائر الله كما ورد ذلك في القرآن الكريم ( إن الصفا والمروة من شعائر الله ) إذن فليشعر بعظمة ذلك الركن من أركان الحج الذي عظمه الله حين أضافه لنفسه .

وإنما بلغ السعي هذه المنزلة لأنه يذكرنا بما كان من توكل هاجر عليها السلام، وهي مع قوة يقينها وتوكلها على الله لم تترك الأخذ بالأسباب حيث بذلت أقصى ما يمكن بذله للوصول إلى الماء لتسقي رضيعها .

فليستحضر العبد في سعيه مفهوم التوكل على الله عز وجل القادر على كل شيء. وليتذكر كيف رزق الله هاجر عليها السلام ماء زمزم لصدق توكلها وبقي زمزم إلى يومنا هذا .

**ومن روحانيات السعي :** أن يلتفت إلى أن التوكل مطلوب في أمور الدين كما هو مطلوب في أمور الدنيا .. فيتوكل العبد على الله في أن يخشع في صلاته وفي قراءته للقرآن الكريم

وذكره لله تعالى ولا ينس أن يتوكل على الله في أداء مناسك الحج والعمرة على خير دون إلحاق الأذى بالحجاج ليخرج سليماً معافى من أعراضهم ودمائهم .

**ومن روحانيات السعي :** أن نأخذ من اسمه أننا لا بد أن نكون في سعي دائم مستمر نحو أهداف سامية نفيدها بها أنفسنا وأمتنا الإسلامية الخالدة .

على سبيل المثال الهدف الذي يجب على الطالب تحقيقه هو نيل درجة الامتياز أيا كان تخصصه أو المرحلة الدراسية التي هو فيها ... والموظف يجعل من أسمى أهدافه الإتقان في أداء عمله وأن يسعى لخدمة زملائه ومعارفه ... علة التاجر ألا يغش في تجارته ولا يغالي في أسعاره .

وهكذا المزارع في مزرعته وأصحاب الحرف والصناعات التقليدية وغير التقليدية يحسنون القيام بها مخلصين لله عاملين في إسعاد الأمة الإسلامية متفانين في ذلك وليسوا ممن يعمل لنفسه غير مبال بحال غيره .

وما الهرولة في السعي إلا إشارة إلى ضرورة النشاط وترك الدعة والكسل في الوصول إلى تلك الأهداف التي أشرنا إليها .. مع ملاحظة الحالة النفسية التي كانت تسعى بها هاجر عليها السلام ألا وهي عدم اليأس مهما بدا الأمل ضعيفاً والأسباب شحيحة ... لقد ظلت تسعى وتسعى مع علمها بالأحد في المكان ولا وجود لمغيث لكن كان بيدها بل في قلبها شئ واحد ألا وهو التوكل على الله والاطمئنان إلبأنه لن يضيعها تلك الكلمة التي قالتها عند فراق زوجها لها ذكراً لها أنه سيتركهم هنا بأمر إلهي .. إذن هي مستحضرة هذا المعنى كونها هي ورضيعها ممثلين لأمر الله تعالى .. ولذا لم يضيعهما الله تعالى.

ولاح لي معنى هاماً في هذا المقام – يعتبر من الروحانيات أيضاً - ألا وهو أن من كان منفذاً لأمر الله تعالى أو ساعياً في تنفيذه فإنه لا يخشى ضياعاً مهما كانت المعوقات التي تواجهه ومهما رأى نفسه يسبح عكس التيار .

**ومن الروحانيات في المسعى :** ما أشار إليه بعض الباحثين - الأستاذ يحيى رضا جاد - بقوله ( إن السعي بين الصفا والمروة – ومثله رمي الجمار، والشرب من زمزم - إعلان لارتباط الإسلام وأمه بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وعائلته؛ لتؤكد الأمة الإسلامية بهذا الارتباط أنها سائرة على درب النبوات السابقة، ومتممة لها، لا منكراً إياها، ولا شاذة عنها ).

وقوله: ( إن السعيَ بين الصفا والمروة سعيٌّ بين نقطتين محددتين؛ وهذا يرشدنا إلى "تأطير" و "تقصيد" و "ضبط" و "تنظيم" مسعانا في حياتنا الدنيا؛ بأن نجعل له "إطاراً" و "قصداً" و "خطة"، وإلا فستنفلت الأمور، ويموج بعضنا في بعض؛ فيخيب مسعانا). ( مقال بعنوان : من أسرار الحج.. دراسة في فقه الدلالات والمقاصد )

وللغزالي رحمه الله ملحظ لطيف في السعي بين الصفا والمروة - لا بأس أن يندرج بين الروحانيات - حيث يقول : (أما السعي بين الصفا والمروة: فإنه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك ذهاباً وإياباً مرة بعد أخرى؛ إظهاراً للخلوص في الخدمة، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة، فهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد؟ فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى، يرجو أن يُرحم في الثانية، إن لم يُرحم في الأولى . (

**ومن روحانيات السعي أن: التأمل في نتيجة سعي هاجر عليها السلام شيئاً لم يكن في حسابها ولو بنسبة ضئيلة. . وهو نبع ماء زمزم هذا نأخذ منه معنى هاماً ألا وهو أن من أتى بالأسباب وتوكل على الله عز وجل أن يعلم يقيناً أن النتائج ستأتي بصورة أفضل مما يتوقع فالله جواد.**

## الوقفة السادسة

### روحانيات النزول بمنى يوم التروية

يعاود الحاج التلبية وينزل في منى يوم التروية - الثامن من ذي الحجة - وفي حقيقة الأمر إنما تلبيته ليصل إلى عرفات فكأن مشعر منى محطة في طريقه للوصول إلى عرفات... ولهذا يقصر الصلاة كالمسافر وحال المسافر معلوم ... فهو متكرر الخاطر يشعر بالقلق في غالب اوقاته ... هذه هي طبيعة النفس البشرية.

ولكن ذكر الحجاج في هذا اليوم إنما هو التلبية ذلك الشعار الذي يتضمن معنى الاخبات ولم نشر إليه في المقولات السابقة ولا بأس من الحديث عنه قليلا فنقول :

**ومن روحانيات الحاج في منى :** أن يظهر الاخبات لله تعالى أي الذل والخضوع له سبحانه وتعالى كما أن في الاخبات تواضع لعباده. و لذا نلاحظ أنه ربما خدم الرجل الوجيه رجلا دونه في المنزلة في الحج .. ولا يجد غضاضة في ذلك .... فهذا أحد التابعين يقول حجبت مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لخدمه فكان يخدمني أكثر مما اخدمه .

**و من مظاهر اخبات الحاج في منى إكثاره من التلبية** دون كلل ولا ملل ... فهو يلبي ليله ونهاره وبعد الصلاة وعند نومه واستيقاظه وجلوسه إلى رفاقه. و متى غفل الحاج عن التلبية فقد روح وجوده في منى .

ولكي يكتمل مقام الإحسان في الحج فليستحضر معاني التلبية كلها وقد ختم الله آيات الحج في سورة الحج بقوله ( وبشر المحسنين ) والإحسان هنا يشمل معنيين:

**الأول :** ما جاء في الحديث الصحيح: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ..فليستحضر المربي مراقبة الله إياه ولا يكن رفع صوته بالتلبية مجرد زعيق لا يتحرك له القلب ولا تدمع له العين.

**الثاني :** الإحسان إلى من يراه محتاجاً إلى مد يد العون له من الحجاج سواء أكان ذلك عوناً مادياً أو معنوياً .. ولقد رأينا في الحج صوراً رائعة من بعض الحجاج الذين هم في درجة عالية من الثراء كيف يتواضعون ويقومون بتوزيع الوجبات بأنفسهم على المحتاجين في صورة مشرقة تدل على أن هذه الأمة لا يزال فيها من يتخلق بأخلاق الإسلام ويعمل بقيمه.

ومع ذلك على العبد أن يردد مع ابن رواحة وهو ينقل التراب في غزوة الأحزاب حيث كان يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا      ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينه علينا      وثبت الأقدام إن لاقينا  
إن الألى قد بغوا علينا      وإن أرادوا فتنة أبينا

ويردد أيضاً :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر      أنا جائع أنا ضائع أنا عار  
هي ستة وأنا الضمين لنصفها      فكن الضمين لنصفها يا بار  
مدحي لغيرك لهب نار خضتها      فأجر عبيدك من لهب النار

هل تدري لم قلت لك ذلك أيها الحاج المحسن لكي تطرد عنك العجب والفخر بإحسانك ،  
ولترجع الفضل لله وحده لأنه لولاه ما تيسر لك شئ من ذلك قال تعالى (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )  
سورة النور (21)

قال ابن عاشور : ( أي لولا فضله بأن هداكم إلى الخير - ومن جملة الخير الإحسان  
إلى الحجاج - ورحمته بالمغفرة عند التوبة ما كان أحد من الناس زاكياً لأن فتنة  
الشیطان فتنة عظيمة لا يكاد يسلم منها الناس لولا إرشاد الدين )

## الوقفه السابعة

### روحانيات الحاج في عرفات

عجيب أمرك يا عرفات أنت في الحل وبعيدة عن الحرم ومع هذا كان الوقوف على صعيدك هو الركن الأعظم .. لا يسقط عن معذور ولا يجبر بدم .

عرفات إليها نصبوا وإلى صعيدها نتلّف مع أن الله قال عن الطواف ( وليطوفوا بالبيت العتيق ) والمراد طواف الإفاضة ، ومع هذا فإنه لا يصح إلا بعد الوقوف بعرفات ... فما السبب ؟ وإن شئت قل فما السر في تقديم عرفات على الطواف حول البيت الذي جاء الحاج إليه قاصدين ؟ أقول :

تلك أولى روحانيات الحاج في عرفات وهي أن يعلم أن السر في تقديمها على الطواف لأنه في عرفة تغفر الذنوب وتغسل الخطايا فيصبح الحاج طاهراً وبطهارته صار مؤهلاً للدخول على الملك سبحانه في حرمة ليطوف حول بيته طواف الإفاضة الركن .

وزيادة توضيح لهذا المعنى أقول : لو أراد أحدنا أن يذهب لزيارة ملك من ملوك الدنيا فإنه يستحي أن يذهب إليه متسخ الثياب نتن الرائحة ، ولهذا يجتهد في أن يلبس أجمل ما عنده من الثياب وأن يتعطر بأغلى أنواع العطور . هكذا الأمر بالنسبة لمن أراد الطواف للقاء رب البيت فإنه يخرج إلى عرفات أولى متطهراً من ذنوبه لا بساً ثوب الذل والافتقار إلى الله تعالى ظاهراً وباطناً ... ثم يأتي بذات الثياب التي نال فيها المغفرة ليطوف بالبيت راجياً الرحمة والرضوان من الرحيم الرحمن .

فعرفات كشرط الطهارة للصلاة فكما لا تجوز الصلاة بلا وضوء فكذلك لا يصح طواف الإفاضة قبل عرفات . ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الحج عرفة ) فصار هو الركن الأعظم .

ومن روحانيات الحاج في عرفات : شعوره بدنو الرب من عباده ومغفرته لذنوبهم وعتقه لهم من النار ... فيحسن الظن بالله العلي العظيم الرحمن الرحيم فهو عظيم ومع هذا رحيم .

سبحان من يعفو ونهفو دائماً ولا يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه جلاله عن العطا لذي الخطأ

**ومن روحانيات الحاج في عرفات :** شعوره بالمباهاة الإلهية فالرب تعالى يباهي بأهل الموقف ملائكته وهل تعلم لماذا كانت تلك المباهاة لأن العبد جاء وقد فرغ قلبه لربه فقد طرح الدنيا وراء ظهره وجاء مقبلا على ربه معترفا بخطاياها طالبا رضى مولاه .. إن الحاج لينكس رأسه متفكرا في ذنوبه كيف صدرت منه تلك الذنوب المخزية وهنا تدمع عينه حين يتذكر رحمة ربه ومغفرته .

**ومن روحانيات الحاج في عرفه :** تأمل في اسمها عرفه تقف على هاء فاصبحت جملة مكونه من فعل هو ( عرف ) وفاعل ( ضمير مستتر تفديره الحاج ) والهاء هي اسم منصوب على التعظيم المراد به الرب أي عرف العبد ربه ... قد يسأل سائل أوليس الحاج يعرف ربه قبل مجيئه ل ( عرفه ) الجواب نعم ولكن معرفته لربه في عرفه لها طعم آخر إذ في عرفة حدثت لها عدة تغيرات.

منها تفرغ القلب للتفكر في صفات الرب كما مر قبل قليل أن الحاج ترك الدنيا وراءه . فيتفكر في سعة رحمته وستره على عباده ومحبته لهم وانعامه عليهم بالنعمة الدينية و الدنيوية مما لا يحصى في كتاب ولكن أهم ما يتذكره الحاج في هذا المقام قول الله تعالى ( ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ) يالله ما أعظمها من منة وما أحسنه من تجل إلهي كريم .

ومن هنا أن الحاج سيعرف انه كان غافلا عن ربه مقصرا في حقه معرضا عن القيام بواجباته منهمكا في مخالفته .

**ومن روحانيات عرفات :** أنها تصوير مصغر ليوم الحشر الأكبر لأن الناس يوم القيامة يجمعون في صعيد واحد .. تخيل البشر جميعا، منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة كلهم إي ورب الكعبة كلهم في صعيد واحد ... كم يا ترى عدددهم ... لا يعلمه إلا الله وحده ... كم هو موقف مهيب لا يحيط به عقل ولا يتصوره خيال .. يا ترى أين نحن في ذلك اليوم ... في أي موقع وبين يدي من نقف .. من هو جاري ومن هو جارك .. الناس كلهم عراة كما ولدتهم أمهاتهم . عائشة رضي الله عنها تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض فيأتيها الجواب ( الأمر أعظم من أن يهمهم ذلك ) لعل حشر عرفات يصور لنا شيئا من ذلك الحشر.

**ومن روحانيات عرفات :** عد إلى نفسك أيها الحاج وانظر إلى حالك بين هذه الجموع الكبيرة .. ثم تأمل من انت ؟ هل يصلح أن تقول انا وزير أو مدير أو من أثرياء الدنيا أو

من أعلم الناس أو من أعلمهم وافقهم؟ من تكون.... إنك لا شيء مهما كنت أو كان قدرك فهناك من هو أعلى منك قدراً أعظم منك مكانة .

وقال الغزالي : (وأما الوقوف بعرفة: فاذا ذكر - بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات- ساحات القيامة، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، واقتفاء كل أمة نبيها، وطمعهم في شفاعتهم، وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول؛ ولذلك قيل: إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات، ويظن أن الله تعالى لم يغفر له. واعلم أن اجتماع الهمم، والاستظهار بمجاورة الخلق المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد ) .

**وأنا مع الأستاذ يحي رضا في قوله :**

- إن الوقوف بعرفة وسيلة مادية للتخلص من الشواغل الدنيوية، ولتفريغ القلب لذكر خالقه، ولإيقاظ الحواس على حقيقة القرب القريب لله - جل جلاله- .. ومن هنا كانت كلمة "عرفة"؛ فبعد رحلة من ألوف الأميال يتيقظ القلب على "معرفة"؛ فهو "يتعرف" على ربه و "يكتشف" قربه، كما "يتعرف" على نفسه و " يكتشف" بعدها عنه تعالى.

- والوقوف بعرفة بعد السعي: بذلٌ للمهج في الضراعة إلى الله - بقلوب مملوءة بالخشية، وأيد مرفوعة بالدعاء، وألسنة مشغولة بالدعاء، وروح تحسن الظن ببارئها- ألا يخيب سعينا، وأن يبارك أعمالنا، وأن يجزينا عن حسن الأفعال بالحسنات، وأن يغفر لنا الذنوب ويتجاوز عن الزلات؛ إذ لا ملجأ منه إلا إليه.

- والوقوف بـ "عرفة" فرصة لـ "التعارف" والتقارب والتفاهم والتشاور والتعاون وإنشاء الصلات الجديدة -المظللة بالمحبة والإخاء- بين المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأقطارهم وطبقاتهم وقدراتهم وأذواقهم.

- وهو - بالإضافة إلى ذلك كله- رمزٌ للوحدة بين المسلمين؛ إذ هو تجمعٌ في مكانٍ واحد، وفي وقتٍ واحد، وبملبسٍ واحد: إلى قبلةٍ واحدة وهدفٍ واحد.. يتلقون فيه من الله، ويتجهون إليه، ويسيروا بأمره - فحضورهم بأمره، وأفعالهم بأمره، وانصرافهم بأمره.

- والمشهد يوم عرفة، حين ترى الحجاج في ثيابهم البيض، وفي موقفهم المزدحم العظيم، تحس أنهم أشبه بالناس في ساحة العرض الأكبر، يوم يخرجون من الأجداث إلى

ربهم ينسلون .. إنه "تجسيد مصغر" لمشهد الحشر والوقوف بين يدي الله يوم القيامة.. يا له من موقف رهيب، ومشهد مهيب، تعجز الكلمات عن الإحاطة به، بله اكتناه أسرارہ!!  
 لعل هذا القدر من الروحانيات في عرفات تجعل الحاج يفهم لم جاء إلى هذا المكان البعيد الخالي من أي مظهر من مظاهر العمران الخالي من مباحج الحياة والزينة الدنيوية .  
 والله در القائل عندما وصف حال الحجاج في عرفات :

وبعد زوال الشمس كان وقوفنا	إلى الليل نبكي والدعاء أظناه
فكم حامد كم ذاكِر ومسبح	وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه
فكم خاضع كم خاشع متذلل	وكم سائل مدت إلى الله كفاه
وساوى عزيز في الوقوف ذليلنا	وكم ثوب عز في الوقوف لبسناه
ورب دعانا ناظر لخضوعنا	خبير عليم بالذي قد أردناه
ولما رأى تلك الدموع التي جرت	وطول خشوع مع خضوع خضعناه
تجلى علينا بالمتاب وبالرضى	وباهى بنا الأملاك حين وقفناه
وقال انظروا شعثا وغبرا جسومهم	أجرنا أغثنا يا إلهنا دعونا
وقد هجروا أموالهم وديارهم	وأولادهم والكل يرفع شكواه
إلى فاتى ربهم ومليكمهم	لمن يشتكى المملوك إلا لمولاه
ألا فاشهدوا أنى غفرت ذنوبهم	ألا فانسخوا ما كان عنهم نسخناه
فقد بدأت تلك المساوي محاسنا	وذلك وعد من لدنا وعدناه
فيا صاحبي من مثلنا في مقامنا	ومن ذا الذي قد نال ما نحن نلناه
على عرفات قد وقفنا بموقف	به الذنب مغفور وفيه محونا
وقد أقبل الباري علينا بوجهه	وقال ابشروا فالعفو فيكم نشرناه
وعنكم ضمنا كل تابعة جرت	عليكم وأما حقنا فوهبناه

أقلناكم من كل ما قد جنيتم      وما كان من عذر لدينا عذرناه  
فيا من أسايا من عصي لو رأيتنا      وأوزارنا ترمى ويرحمنا الله  
ولله در ابن القيم حين وصف الحجاج وهم في عرفات بقوله :

وراحوا إلى التعريف يرجون رحمة      ومغفرة ممن يجود ويكرم  
فلهذا ذاك الموقف الأعظم الذي      كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم  
ويدنو به الجبار جلّ جلاله      يباهي بهم أملاكه فهو أكرم  
يقول عبادي قد أتوني محبةً      وإني بهم برُّ أجود وأكرم  
فأشهدكم أني غفرت ذنوبهم      وأعطيتهم ما أمْلوه وأنعم  
فبشراكم يا أهل ذا الموقف الذي      به يغفر الله الذنوب ويرحم  
فكم من عتيق فيه كَمَل عتقه      وآخر يستسعى وربُّك أكرم



واسمع الآن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنما جعل الطواف بالبيت، وبالصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله" فالحاج يستصحب ذكر الله في ذهابه وإيابه وعند رميه - التكبير - وبعد رميه بالدعاء .

اللهُ أَكْبَرُ وانتهى  
نصَبِي وزالت شِقْوَتِي  
اللهُ أَكْبَرُ وارتمى  
قلبي ببابِ الرَّحْمَةِ  
حَلَّقْتُ فِي أَفْقِ الخُشُوعِ  
وقد شَرَقْتُ بدمعَتِي  
ونَفَضْتُ عَن قلبي  
جَبَالاً مِن ذُنُوبِ الغَفْلَةِ  
وتركتُ أوصالي يَجُولُ  
بِهَا إِرْتِعَادُ الخَشْيَةِ

وبدأتُ أبكي مثلَ طفلي خائفٍ في الظلمةِ

ومن روحانيات الحاج في الرمي: إن الذهاب لأداء تلك الشعيرة توقظ في نفوس الحاج ذكرى الأنبياء العظام الذين قاموا بمثل تلك الشعائر في نفس تلك المواطن، وتعيد إلى الحياة أعمالهم، وتوقظ النزعة إلى الاقتداء بهم في كل تصرفاتهم .. وهي إحياءً لذكريات عزيزة وأيام لا تنسى في حياة هؤلاء الأنبياء.

وللغزالي لفظة جميلة في هذا المقام حيث يقول : (وأما رمي الجمار: فاقصد به الانقياد للأمر؛ إظهاراً للرق والعبودية؛ وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه. ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع لِيُدْخَلَ على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله. فإن خطر في نفسك: أن الشيطان عرض له وشاهده، فلذلك رماه، وأما أنت فليس يعرض لك الشيطان؟ فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان، وأنه الذي ألقاه في قلبك؛ ليفتر عزمك في الرمي، ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه، وأنه يضاهي اللعب، فلم تشغل به؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان).

وقد وصف ابن القيم رحمه الله ذلك المشهد المهيب لرمي الجمرات فقال :

وعادوا إلى تلك المنازلِ مِن مِنِي  
ونالوا منهاهمُ عندها وتنعَّمُوا  
أقاموا بها يوماً ويوماً وثالثاً  
وأدَّنَ فيهمُ بالرحيلِ وأغلمُوا

وراخوا إلى رمي الجمارِ عَشِيَّةً      شعارُهُمُ التَّكْبِيرُ وَاللَّهُ مَعَهُمُ  
 فلو أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَوْقِفَهُمْ بِهَا      وَقَدْ بَسَطُوا تِلْكَ الْأَكْفَ لِيُرْحَمُوا  
 ينادونَهُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ إِنَّا      عبيدُكَ لَا نَدْعُو سِوَاكَ وَتَعْلَمُ  
 وها نحنُ نرجو منك ما أنتَ أهْلُهُ      فَأَنْتَ الَّذِي تُعْطِي الْجَزِيلَ وَتُنْعِمُ  
 ولَمَّا تَقَضَّوْا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ      وَسَالَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْبِطَاحُ تَقَدَّمُوا  
 إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ عَشِيَّةً      وطاقُوا بِهَا سَبْعًا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا

وقال أحد الباحثين :

(قد يقول قائل: " ألا تلاحظ معي أن رجم إبليس برمي الجمار عمل بدائي خرافي أسطوري؟!")

فأقول : على رسلك .. ألا تضعون باقة ورد على نصب حجري تذكاري – تقولون: إنه يرمز إلى الجندي المجهول – وتلقون خطبة لتحيته وتمجيد أعماله .. فهل عمك هذا عمل بدائي خرافي أسطوري وثني؟! .. اللهم لا .. فعلام اللوم إذا ألقينا حجراً على نصب حجري تذكاري نقول إنه يرمز إلى الشيطان؟! .. المسألة كلها رمزيات.. فتنبه ولا تكن من الغافلين .

والرمي مقت واحتقار لعوامل الشر ونزعات النفس ونزغات الشيطان.. إنه رمز مادي لصدق العزيمة في طرد الشرور ومطاردتها حتى إزهاقه ) .

## الوقفه التاسعة

### روحانيات الحاج في منى تكبيره أيام التشريق

نحن ها هنا نجلس في خيام منى ونمشي بين طرقاتها تعلونا البهجة والسرور .. العجيب في أيام التشريق تلك الأصوات التي ترتفع بالتكبير والتهليل هنا وهناك في مختلف الأوقات وفي أعقاب الصلوات مع ذلك النور الذي يعلو الوجوه وتلك الطمأنينة التي تملأ الصدور والراحة التي تستشعرها النفوس .. ودليلي على ذلك أنك لا تكاد ترى حاجاً إلا وهو يلقي عليك التحية مبتسماً ، ويبارك لك العيد والحج ويدعو لك بالقبول .

**ومن روحانيات منى :** أن من لم يعتد على رؤية الخيام والعيش سيعيش لحظات أو ساعات من الراحة النفسية والطمأنينة القلبية ما لا يجده في افخم القصور والسر في هذا الشعور هو أنه سيجلس على سجادة أو فرش لا يحول بينه وبين تراب الأرض وأيضا لن ير من مباحج الدنيا وزينتها شيئا بل سيرى الحياة ببساطتها وبعدها عن التعقيدات التي صنعها البشر بايديهم مما يكدر العيش ويقلل من صفو الحياة.

**ومن روحانيات الحاج في منى :** أن يتذكر تلك الكوكبة المباركة من الأنبياء والمرسلين حيث جاءوا إلى منى وجلسوا فيها لأن منى واد مبارك وهو من الحرم .. والدعاء فيها مستجاب .. والذكر فيها متقبل .

**ومن روحانيات أيام التشريق كثرة الذكر بالتحميد والتهليل والتكبير ( الذكر يورث القرب من الله عز وجل، فعلى قدر ذكرك لله يكون قربك منه، وكلما كنت أقرب إلى الله كنت أسعد الخلق، وعلى قدر الغفلة يكون البعد، وكلما كان العبد بعيداً عن ربه كان شقيماً، قضية كالرياضيات واضحة جداً، وأكبر عقاب يناله الإنسان ) . ( لتكبروا على ما هداكم وبشر المحسنين )**

ومن أحسن ما قيل في فوائد الذكر : (الذكر له فائدتان، فائدة تطهيرية وفائدة تعطيرية، أحياناً أنت تغسل الإناء وتملؤه بماء الزهر ، تغسله أولاً وتملؤه بالعطر، فإلغسل هدف تطهيري، وإملاءه بالعطر هدف تعطيري، فالمؤمن بالذكر يطهر ويزكو، تقول: لا يكذب - طهارة - لا يشك، لا يغتاب، لا ينحرف، لا يغش المسلمين، تقول ألف كلمة قبلها لا هذا تطهير، لكن لطيف - تعطير - حليم، رحيم، ودود، متواضع، هناك تطهير وهناك تعطير، الذكر يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والحزن، ويجلب للقلب الفرح والسرور، الذكر يطهر ويعطر) .

ذكر الله أكبر قال تعالى: (أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. ولذكر الله أكبر. والله يعلم ما تصنعون)

يقول أحد المفسرين : ( والآية واضحة الدلالة في أن الذكر ليس كبيراً فحسب بل هو أكبر، وذلك يدل على أهمية كبرى، ومكانة عظمى. ذكر العلماء والمفسرون عدة معانٍ جديرة بالاهتمام توضح كون الذكر أكبر، وهماي أقدمها لك واضحة ميسرة: الأول: ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل العبادات؛ لأن المقصود بالطاعات كلها: إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها؛ لأن حقيقته هي التعلق بالله، واستحضار عظمته، واستشعار مراقبته، واستنكار نعمته، والعبادات كلها -بهذا المعنى- ذكر. الثاني: أنكم إذا ذكرتموه ذكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له، وهذا معنى عظيم، فأنت أيها الإنسان الضعيف العاجز يذكرك الله القوي القادر، أنت الفقير الحقير يذكرك الله الغني العظيم، فما أعظمه من ذكر! وما أسماها من مكانة! الثالث: ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر محق كل خطيئة ومعصية، فيالله ما أكبر هذا الذكر ).

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله: “الذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم التي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي إذا فارقه انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت توصلهم إلى علام الغيوب، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلم البلاء فالإيه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فالإيه مفزعهم، وهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون. يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور ويجعله ذاكراً مذكوراً”.

فلسان حالهم :

فليتك تحلو والحياة مريرةً      وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامراً      وبينني وبين العالمين خراب

إذا صحّ منك الوصل فالكل هين      وكل الذي فوق التراب تراب

## الوقفة العاشرة

### روحانيات الحاج في طواف الوداع

كفكف دموعك أيها الحاج واكتم زفرات الصدر وحزن القلب ولا أظنك تستطيع ذلك

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

لعل حالك حال المحب الذي سيفارق محبوبه ولا يدري هل سيلتقيه مرة أخرى أم هذا  
آخر العهد ونهاية المطاف .

بِنْتُمْ وَبِنَا، فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَاقِينَا

نَكَادُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا

لقد ختم الغزالي رحمه الله كلامه عن الحج الروحي المصاحب للمناسك بقوله ( فهذه  
وظيفة القلب في أعمال الحج. فإذا فرغ منها كلها، فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم  
والخوف، وأنه ليس يدري أقبل منه حبه، وأثبت في زمرة المحبوبين، أم رد حبه،  
وألحق بزمرة المطرودين؟

وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله، فإن وجد قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور،  
وانصرافاً إلى دار الخلود، ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع، فليثق بالقبول، فإن الله  
تعالى لا يقبل إلا من أحبه؛ ومن أحبه تولاه، وأظهر عليه آثار محبته، وكف عنه سطوة  
عدوه إبليس لعنه الله. فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول، وإن كان الأمر بخلافه،  
فليوشك أن يكون حظه من سفره: العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك) .

ولله در ابن القيم حيث نظم هذه المعاني بقوله :

ولمَّا دَنَا التَّوَدِيعُ مِنْهُمْ وَأَيَّقُنُوا بَأَنَّ التَّدَانِي حَبْلُهُ مُتَّصِرٌ

ولم يبقَ إلا وَقْفَةٌ لِمُودِعٍ فَلِلَّهِ أَجْفَانٌ هُنَاكَ تُسَجَّمُ

ولله أَكْبَادٌ هُنَاكَ أُوْدِعَ أَلْ غَرَامُ بِهَا فَالِنَارُ فِيهَا تَضَرَّمُ

ولله أَنْفَاسٌ يَكَادُ بَحْرَهَا يَذُوبُ الْمُحِبُّ الْمُسْتَهَامُ الْمُتَمِّمُ

فلم ترَ إلا بَاهِتًا مُتَحَيِّرًا وَآخَرَ يُبْذِي شَجْوَهُ يَتَرَنَّمُ

رَحَلْتُ وَأَشْوَاقِي إِلَيْكُمْ مُقِيمَةً      وَنَارُ الْأَسَى مِنِّي تَشْبُ وَتَضْرُمُ  
 أَوْدَعُكُمْ وَالشُّوقُ يُنْتِي أَعْنَتِي      وَقَلْبِي أَمْسَى فِي حِمَاكُمْ مُحَيِّمُ  
 هُنَالِكَ لَا تَتْرِيَبَ يَوْمًا عَلَى امْرِي      إِذَا مَا بَدَا مِنْهُ الَّذِي كَانَ يَكْتُمُ  
 فَيَا سَائِقِينَ الْعَيْسَ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ      قِفُوا لِي عَلَى تِلْكَ الرَّبُوعِ وَسَلَّمُوا  
 وَقُولُوا مُحِبِّ قَادَهُ الشُّوقُ نَحْوَكُمْ      قَضَى نَحْبَهُ فَيْكُمْ تَعِيشُوا وَتَسَلَّمُوا  
 قَضَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِيمَا قَضَى بِهِ      بَأَنَّ الْهَوَى يُعْمِي الْقُلُوبَ وَيُبْكِكُمْ  
 وَحُبُّكُمْ أَصْلُ الْهَوَى وَمَدَارُهُ      عَلَيْهِ وَفَوْزٌ لِلْمُحِبِّ وَمَعْنَمُ  
 وَتَفْنَى عِظَامِ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَاتِهِ      وَأَشْوَاقُهُ وَقَفَّ عَلَيْهِ مُحْرَمُ

وأتحفنا أبو بكر البغدادي بوصف حال الحجاج وه يودعون البيت العتيق بقوله :

وبات حجاج الله بالبيت محققاً      ورحمة رب العرش ثمت تغشاه  
 تداعت رفاقا بالرحيل فما ترى      سوى دمع عين بالدماء مزجناه  
 لفرقة بيت الله والحجر الذي      لأجلهما صعب الأمور سلكناه  
 وودعت الحجاج بيت إلهها      وكلهم تجري من الحزن عيناه  
 فلله كم باك وصاحب حسرة      يود بأن الله كان توفاه  
 فلو تشهد التوديع يوماً لبيته      فإن فراق البيت مر وجدناه  
 فما فرقة الأولاد والله إنه      أمر وأدهى ذاك شيء خبرناه  
 فمن لم يجرب ليس يعرف قدره      فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه  
 لقد صدعت أكبادنا وقلوبنا      لما نحن من مر الفراق شربناه  
 والله لولا أن نؤمل عودة      إليه لذقتنا الموت حين فجعناه

وما أحسن هذه الأبيات المنسوبة للزمخشري في هذا المقام :

يا من يرى مد البعوض جناحها .... في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناظ عروقها في نحرها .... والمخ من تلك العظام النحل  
ويرى خريير الدم في أوداجها .... منتقلا من مفصل في مفصل  
ويرى وصول إذا الجنين ببطنها .... في ظلمة الأحشا بغير تمقل  
ويرى مكان الوطاء من أقدامها .... في سيرها وحثيئها المستعجل  
ويرى ويسمع حس ما هو دونها .... في قاع بحر مظلم متهول  
امنن علي بتوبة تمحو بها .... ما كان مني في الزمان الأول  
وقد أحسن الآخر بقوله:

إذا كنت تغدو في الذنوب بعيداً      وتخاف في يوم المعاد وعيدا  
فلقد أتاك من المهيمن عفوه      وأفاض من نعمه عليك مزيدا  
لا تياسن من لطف ربك في الحشا      في بطن أمك مضغة ووليدا  
ولو شاء أن تصلى جهنم خالدا      ما كان ألهم قلبك التوحيدا

ختاماً أدعو ربي قائلاً : إلهي لا تعذب لساناً يخبر عنك ، ولا عيناً تنظر إلي علوم تدل  
عليك ، ولا قدماً تمشي في خدمتك ، ولا يداً تكتب حديث رسولك صلي الله عليه وسلم ،  
فبعزتك لا تدخلني النار فقد علم أهلها أنني كنت أذب عن دينك . اللهم بلغني آمالي من  
العلم بك وبكتابك وسنة نبيك صلي الله عليه وسلم والعمل بهما وأطل عمري لأبلغ (ما)  
أحب من ذلك .

## الوقفه الحادية عشرة

### روحانيات الحاج عند زيارة المدينة النبوية المنورة

استفتح هذه الوقفة بما قاله بعض العلماء (ليست حاجة أهل الأرض إلى الرسل كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر ، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته ، ولا كحاجة العين إلى ضوءها والجسم إلى الطعام والشراب ، بل أعظم من ذلك وأشدُّ حاجةً من كل ما يُقدر ويخطر بالبال ؛ فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ، وهم السفراء بينه وبين عباده ، يدعونهم إلى دين الله ، ويبلغونهم رسالة الله ، ويهدونهم إلى صراطه المستقيم )

من روحانيات الحاج عند خروجه إلى الميئة : أن يتذكر عظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه ، وأن يستحضر ما أسداه إلينا من معروف بأدائه للأمانة وتبليغه للرسالة ، فلذا كان لا بد من الإشارة إلى شئ من فضائله صلى الله عليه وسلم ناقلاً كلام بعض أهل العلم في ذلك :

لقد أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بفضائل جمّة ، وصفات عدة، فأحسن خلقه وأتم خلقه، حتى وصفه تعالى بقوله: { وإنك لعلی خلق عظیم } (القلم:4)، ومنحه جل وعلا فضائل عديدة، وخصائص كثيرة، تميز بها صلى الله عليه وسلم عن غيره، فضلاً عن مكانة النبوة التي هي أشرف المراتب، وبتناول في الأسطر التالية شيئاً من فضائله صلى الله عليه وسلم:

فمنها أنه خليل الرحمن فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله ) رواه مسلم . وهذه الفضيلة لم تثبت لأحد غير نبينا وإبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام.

ومن فضائله أنه شهيد وبشير، فعن عقبه بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً، فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: ( إني فرط لكم - أي سابقكم - ، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها ) متفق عليه.

ومن فضائله أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قال تعالى: ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) الأحزاب:6.

قال الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" : "فإذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم لشيء، ودعتهم أنفسهم إلى غيره، وجب عليهم أن يقدموا ما دعاهم إليه، ويؤخروا ما دعتهم أنفسهم إليه ، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم."

ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه سيد ولد بني آدم، فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ( كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، وقال أنا سيد القوم يوم القيامة ) متفق عليه.

وهو صلى الله عليه وسلم أمان لأمته، حيث جاء في الحديث الصحيح ( النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ) رواه مسلم.

ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يشفع ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع ) رواه مسلم ، وهو صاحب المقام المحمود ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ( إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا - أي جالسين على ركبهم -، كل أمة تتبع نبيها، يقولون يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود ) رواه البخاري.

هذه المآثر والفضائل التي وهبها الله لنبيه محمد كثيرة جدا نقتصر على ما ذكرنا خشية الإطالة..

ومع هذا لو لم يكن له من نعمة الله وفضله عليه إلا أخلاقه العظيمة لكفته فخرا ، لأن المطالع في سيرته ومواقفه المتعددة يجد أن رسول الله قد حاز من كل خلق أرفع وتسنم ذرى الأخلاق حتى سما بها فكان كما وصفه الله بقوله: وإنك لعلى خلق عظيم. وكما قال حسان في مدحه : وأحسن منك لم ترقط عيني وأجمل منك لم تلد النساء

## كأنك قد خلقت كما تشاء

## خلقت مبراً من كل عيب

وما عسى أن يقول المادحون في وصف من مدحه الله وأثنى عليه بمدائح؟ وهو سيد ولد آدم، وأفضل الأولين والآخرين، فمهما كتب الكاتبون ونظم الشعراء المادحون فلن يستطيعوا أن يجمعوا كل صفاته وفضائله، فصلوات الله عليه في الأولين والآخرين وفي الملائكة الأعلی إلى يوم الدين.

فقد كان أكرم الناس خلقاً، وأوسعهم صدراً وأصدقهم لهجة وأكرمهم عشيرة، وأوفاهم عهداً، وأوصلهم للرحم، قريباً من كل بر، بعيداً من كل إثم، لا يقول إلا حقا ولا يعد إلا صدقا، جواد بماله، فما قال لأحد: لا. قط، إلا في تشهده وما جرى لفظه على نعم، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، شجاعاً يتقي به أصحابه عند شدة البأس، صابراً محتسباً في جنب الله كل مكروه وأذى، يسبق حلمه غضبه ويعفو عند المقدرة، رحيم القلب، طيب النفس، آتاه الله الكمال في الخلق والخلق، والقول والعمل، وجمله بالسكينة والوقار وكساه حسن القبول، فاستمال القلوب وملك زمامها، فانقادت النفوس لموافقته، وثبتت القلوب على محبته وفدته النفوس بكل عزيز وغال.

فهذا هو رسول الله فيجب على كل من عرف صفات نبيه أن يحاول أن يتأسى به وأن يحبه أكثر من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين، لهذا كان المؤمنون المستقيمون على الصراط المستقيم على الجادة والطريق الوسط عرفوا منزلته وقدره وجعلوا محبته قرّة عيونهم وشغاف قلوبهم واتباع سنته شعارهم ووقروه وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أثبتوا له كل ما خص به ربه من كريم السمائل وجليل الخصال وما فضله به على النبيين وسائر البشر أجمعين، لكنهم لم يغفلوا فيه قيد شعرة ولم يجاوزوا به قدره فهو عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه وسيد ولد آدم الذي كان أعظم ما دعا إليه هو توحيد الله وتعريف الناس برب العالمين. وما يجب له سبحانه على عباده من حقوق وما وعدهم به في الآخرة فلم يستغيثوا به عند الشدائد فصلوات الله وسلامه عليه وجزاه عنا خير ما يجزي به نبيا عن أمته.

وما أجمل قول الشاعر :

كملت محاسنهُ فلو أهدى السنا      للبدر ، عند تمامه ، لم يُخسِفِ  
وعلى تفنن ، واصفيه بحسنه      يفنى الزمان ، وفيه مالم يوصفِ  
ولقد صرفت لحيه ، كلّي ، علي      يد حسنه ، فحمدت حسن تصرفي

فالعينُ تهوى صورة الحُسنِ التي      رُوحِي بها تصبو إلى معنى خفي  
أسعدُ أخِيَّ وغنَّني بحديثه      وانثرُ على سمعي جِلاهُ وشنَّفِ  
لأرى بعينِ السمعِ شاهدَ حُسنِهِ      معنىً فأتحنِّفني بذاكُ وشرِّفِ

وقول الآخر :

إن أقفر القلب من حب الإله ومن      حب الرسول غدا كالصخر والطين  
أحببتُ أحمد يا رباه عن ثقة      بأنه شافعي في موقف الدين  
لولا المحبة ما رقت مشاعرنا      ولا نعمنا بهذا الأُنس واللين  
ما الحبُّ إلا اتِّباعٌ صادقٌ وهو      حبُّ الرسول شعارٌ للمحبين  
إن لم يكن نابعاً من قلب صاحبه      فليس يُجدي ادعاءً دون تمكين

قال الغزالي : (وأما زيارة المدينة: فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، وجعل إليها هجرته، وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته، وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله عز وجل. ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريته القائمين بالحق بعده رضي الله عنهما...ثم تذكر ما منَّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته، وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه، وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم. ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا، وأنتك من رؤيته في الآخرة على خطر. وأنتك ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك. وليعظم مع ذلك رجائك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان، وحملك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة، ولا حظ في دنيا، بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره).

قال النووي رحمه الله تعالى ( فإذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة استحب لهم استحباباً متأكداً أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته صلى الله عليه وسلم وينوي الزائر من الزيارة التقرب وشد الرحل إليه والصلاة فيه ، وإذا توجه فليكثر من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم في طريقه ، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمها وما يعرف بها زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وسأل الله تعالى أن ينفعه بهذه الزيارة وأن يقبلها منه " ويستحب أن يغتسل قبل دخوله ويلبس أنظف ثيابه ،

ويستحضر في قلبه شرف المدينة ، وأنها أفضل الأرض بعد مكة عند بعض العلماء ، وعند بعضهم أفضلها مطلقاً ، وأن الذي شرفت به صلى الله عليه وسلم خير الخلائق . وليكن من أول قدومه إلى أن يرجع مستشعراً لتعظيمه ممتلئ القلب من هيئته كأنه يراه ، فإذا وصل باب مسجده صلى الله عليه وسلم فليقل الذكر المستحب في دخول كل مسجد وسبق بيانه في آخر باب ما يوجب الغسل ، ويقدم رجله اليمنى في الدخول واليسرى في الخروج كما في سائر المساجد ، فإذا دخل قصد الروضة الكريمة ، وهي ما بين القبر والمنبر فيصلّي تحية المسجد بجانب المنبر) المجموع شرح المذهب (254/8) .

**وقال الغزالي :** ( وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم: فينبغي أن تزوره ميتاً كما تزوره حياً، ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً. وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله، بل تقف من بعد ماثلاً بين يديه، فكذلك فافعل، فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود. واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك، وأنه يبلغه سلامك وصلاتك، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني عن أمتي السلام) رواه النسائي، هذا في حق من لم يحضر قبره، فكيف بمن فارق الوطن، وقطع البوادي شوقاً إلى لقائه، واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم، إذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة؟ )

ومن روحانيات الحاج في المدينة المنورة : زيارة البقيع وهنا يتذكر الصحابة الكرام ، ومن رزقه الله حباً صادقاً ربما هاجه الشوق وذرفت العين .

ويكفي في فضلهم ومعرفة قدرهم قول الله فيه ( لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة )

وما أحسن ما قاله الدكتور عائض القرني في مدحهم رضي الله عنهم:

**فعلى الرسول وآله وصحابه = مني السلام بكل حب مسعد**

**هم صفوة الأقبام فاعرف قدرهم = وعلى هداهم يا موفق فاهتد**

**واحفظ وصية أحمد في صحبه = واقطع لأجلهم لسان المفسد**

**عرضي لعرضهموا الفداء وإنهم = أزكى وأطهر من غمام أبرد**

**فالله زكاهم وشرف قدرهم = وأحلهم بالدين أعلى مقعد**

شهدوا نزول الوحي بل كانوا له = نعم الحماية من البغيض الملحد  
بذلوا النفوس وأرخصوا أموالهم = في نصرته الإسلام دون تردد  
ما سبهم إلا حقير تافه = نذل يشوههم بحقد أسود  
لغبار أقدام الصحابة في الردى = أعلى وأعلى من جبين الأبعد  
ما نال أصحاب الرسول سوى امرء = تمت خسارته لسوء المقصد  
هم كالعيون ومسها إتلافها = إياك أن تدمي العيون بمرود  
من غيرهم شهد المشاهد كلها = بل من يشابههم بخسن تعبد  
ويل لمن كان الصحابة خصمه = والحاكم الجبار يوم الموعد  
كل الصحابة عادلون وليس في = أعراضهم ثلب لكل معربد  
أنسيت قد رضي الإله عليهم = في توبة وعلى الشهادة فاشهد  
فإذا سمعت بأن مخذولاً غداً = في ثلبهم فاقطع نياط المعتدي  
مفتاح سبهم الموفق خالنا = أزجي التحايا للحليم الأرشد  
أعني معاوية الجليل وحسبه = إذ كان كاتباً وحيناً ثبت اليد  
ما اختاره المختار إلا أنه = حبر أمين في صراط مهتد  
ودعا له خير الأنام وبوركت = أيامه في ملك عدل أرغد  
حتى تقي الدين قال: دُعا النبي = لا أشبع الرحمن بطن الأبعد  
هو من مناقبه وخير خصاله = فأضف إلى تلك المناقب واعدد  
ولعمرو داهية الدواهي حبنا = مهما جرى حاز الرضى بتفرد  
أنعم بفتح مصر من قوادنا = لله درك من همامٍ أوجد  
لو كان في إيمانه شك لما = وواه خير الخلق جيش المسجد

صلى بأصحاب الرسول ولم يكن = حاشاه من أهل النفاق بمشهد  
لكنّ مبغضهم يحاول ثلبهم = بتربصٍ وتحرشٍ وترصدٍ  
هو كالدباب على الجراح وهمته = وضع الأذى فعل الحقود الأكد  
حبُ الصحابة واجبٌ في ديننا = هم خير قرنٍ في الزمان الأحمدي  
ونكفُ عن أخطائهم ونعدها = أجراً لمجتهدٍ أتى في المسند  
ونصونهم من حاقدي ونحوظهم = بثناننا في كل جمع أحشد  
قد جاء في نص الحديث مصححاً = الله في صحي وصية أحمد  
فحبهم حب الرسول محقق = فاحذر تنقصهم وعنه فأبعد

وأختم بهذه القصيدة التي قالها (مجد الدين البغدادي الوتري) في وصف حال الزائرين  
لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بل وحالهم بعد الرجوع إلى بلادهم:

ومن بعد ما طفنا طواف وداعنا	رحلنا لمغنى المصطفى ومصلاه
ووالله لو أن الأسنة أشرعت	وقامت حروب دونه ما تركناه
ولو أننا على الروس دونه	ومن دونه جفن العيون فرشناه
وتملك منا بالوصول رقبانا	ويسلب منا كل شيء ملكناه
لكان يسيراً في محبة أحمد	وبالروح لو يشرى الوصال شريناه
ورب الورى لولا محمد لم نكن	لطيبة نسعى والركاب شددناه
ولولاه ما اشتقنا العقيق ولا قبا	ولولاه لم نهوى المدينة لولاه
هو القصد إن غنت بنجد حداتنا	وإلا فما نجد وسلع أردناه
وما مكة والخيف قل لي ولا منى	وما عرفات قبل شرع أردناه
به شرفت تلك الأماكن كلها	وربك قد خص الحبيب وأعطاه
لمسجده سرنا وشدت رحالنا	وبين يديه شوقنا قد كشفناه

قطعنا إليه كل بر ومهمه	ولا شاغل إلا وعنا قطعناه
كذا عزمات السائرين لطيبة	رعى الله عزماً للحبيب عزمناه
وكم جبل جزنا ورمل وحاجز	ولله كم واد وشعب عبرناه
ترنحنا الأشواق نحو محمد	فنسري ولا ندري بما قد سريناه
ولما بدا جزع العقيق رأيتنا	نشاوى سكارى فارحين برؤياه
شممنا نسيماً جاء من نحو طيبة	فأهلاً وسهلاً يا نسيماً شممناه
فقد ملنت من القلوب مسرة	وأى سرور مثل ما قد سررناه
فوا عجباه كيف قرّت عيوننا	وقد أيقنت أن الحبيب أتينا
ولقياه منا بعد بعد تقاربت	فو الله لا لقياً تعادل لقياه
وصلنا إليه واتصلنا بقربه	فله ما أحلى وصولاً وصلناه
وقفنا وسلمنا عليه وإنه	ليسمعنا من غير شك فديناه
ورد علينا بالسلام سلامنا	وقد زادنا فوق الذي قد بدأناه
كذا كان خلق المصطفى وصفاته	بذك في الكتب الصحاح عرفناه
وثم دعونا للأحبة كلهم	فكم من حبيب بالدعاء خصصناه
وملنا لتسليم الإمامين عنده	فإنهما حقاً هناك ضجيعاه
وكم قد مشينا في مكان به مشى	وكم مدخل للهاشمي دخلناه
وآثاره فيها العيون تمتعت	وقمنا وصلينا بحيث مصلاه
وكم قد نشرنا شوقتنا لحبيبنا	وكم من غليل في القلوب شفيناه
ومسجده فيه سجدنا لربنا	فله ما أعلى سجوداً سجدناه
بروضة قمنا فهاتيك جنة	فيا فوز من فيها يصلي وبشرناه
ومنبره الميمون منه بقية	وقفنا عليها والفؤاد كررناه

كذلك مثل الجذع حنت قلوبنا  
وزرنا قبا حبا لأحمد إذ مشى  
لنبعث يوم البعث تحت لوائه  
وزرنا مزارات البقيع فليتنا  
وحمزة زرناه ومن كان حوله  
ولما بلغنا من زيارة أحمد  
ومن بعد هذا صاح بالبين صاح  
سمعنا له صوتاً بتشتيت شملنا  
وقمنا نؤم المصطفى لوداعه  
ولا صبر كيف الصبر عند فراقه ؟  
أيصبر ذو عقل لفرقة أحمد  
فواحسرتاه من وداع محمد  
سأبكي عليه قدر جهدي بناظر  
فيا وقت توديعي له ما أمره  
عسى الله يدنيني لأحمد ثانياً  
فيا رب فارزقني لمغناه عودة  
رحلنا وخلفنا لديه قلوبنا  
ولما تركنا ربه من ورائنا  
لنغتم منه نظرة بعد نظرة  
فلا عيش يهنى مع فراق محمد  
دعوني أمت شوقاً إليه وحرقة

إليه كما ود الحبيب وددناه  
عسى قدماً يخطو مقاما تخطاه  
إذا الله من تلك الأماكن ناداه  
هناك دفنا والممات رزقناه  
شهيداً وأحداً بالعيون شهدناه  
منانا حمدنا ربنا وشكرناه  
وقال ارحلوا يا ليتنا ما أطعناه  
فيا ما أمر الصوت حين سمعناه  
ولا دمع إلا للوداع صبيناه  
وهيهات إن الصبر عنه صرفناه  
فلا والذي من قاب قوسين أدناه  
وأواه من يوم التفرق أواه  
من الشوق ما ترقى من الدمع غرباه  
ووقت اللقا والله ما كان أحلاه  
فيا حبذا قرب الحبيب ومدناه  
تضاعف لنا فيها الثواب وترضاه  
فكم جسد من غير قلب قلبناه  
فلا ناظر إلا إليه رددناه  
فلما أغبناه السرور أغبناه  
أأفقد محبوبي وعيشي أهناه  
وخطوا على قبري بأني أهواه

فإيا صاحبي هذي التي بي قد جرت  
 فإن كنت مشتاقاً فبادر إلى الحمى  
 وتحظى بيت الله من قبل منعه  
 أليس ترى الأشراط كيف تتابعت  
 إلى عرفات عاجل العمر واستبق  
 وعيد مع الحجاج يا صاح في منى  
 وضح بها واحلق وسر متوجهاً  
 وكن صابراً إنا لقينا مشقة  
 لقد بعدت تلك المعالم والربا  
 فبادر إليها لا تكن متوانياً  
 وحج بمال من حلال عرفته  
 فمن كان بالمال المحرم حجه  
 إذا هو لبي الله كان جوابه  
 كذلك جانا في الحديث مسطرا  
 ومن بعد حج سر لمسجد أحمد  
 فوا أسف الساري إذا ذكر الحمى  
 ووالهف الآتي بحج وعمرة  
 يعزى على ما فاته من مزاره  
 نظرناه حقاً حين باننا ركابنا  
 وزادت بنا الأشواق عند دنونا  
 ولما بدت أعلامها وطلولها  
 وهذا الذي في حنا قد عملناه  
 لتنظر آثار الحبيب وممشاه  
 كأننا به عما قليل منعناه  
 فبادر واغنمه كما قد غنمناه  
 فثم إله الخلق يسبغ نعماه  
 فعيد منى أعلاه عيداً وأسناه  
 إلى البيت واصنع مثل ما قد صنعناه  
 فإن تلقها فاصبر كصبر صبرناه  
 فكم من رواح مع غدو غدوانه  
 لعلك تحظى بالذي قد حظيناه  
 وإياك والمال الحرام وإياه  
 فعن حجه والله ما كان أغناه  
 من الله لا لبيك حج رددناه  
 ففي الحج أجر وافر قد سمعناه  
 ولا تخطه تندم إذا تتخطاه  
 إذا ربع خير المرسلين تخطاه  
 إذا لم يكمل بالزيارة ممشاه  
 فقد فاته أجر كثير بأخراه  
 على طيبة حقاً وصدقاً نظرناه  
 إليها فما أحلى دنوا دينناه  
 تحدرت الركبان عما ركبناه

وسرنا مشاة رفعة لمحمد  
لنغنم تضعيف الثواب بمسجد  
كذلك فاغنم في زيارة طيبة  
فاذ ما رأيت القبر قبر محمد  
وقف بوقار عنده وسكينة  
وسلم عليه والوزيرين عند  
وبلغه عنا لا عدمت سلامنا  
ومن كان منا مبلغا لسلامنا  
فيا نعمة لله لسنا بشكرها  
فنحمد رب العرش إذا كان حننا  
عليك سلام الله ما دامت السما

حثنا الخطا حتى المصلى دخلناه  
صلاة الفتى فيه بألف يوفاه  
كما قد فعلنا واغتنم ما غنمناه  
فلا تدن منه ذاك أولى لعلياه  
ومثل رسول الله حيا بمثواه  
هوزره كم زرنا لنحصد عقباه  
فأنت رسول للرسول بعثناه  
فإنا بمبلاغ السلام سبقناه  
نقوم ولو ماء البحور مددناه  
بزورة من كان الختام ختمناه  
سلام كما يبغى الإله ويرضاه

## الوقفه الثانية عشرة

### روحانيات الحاج في الدعوة إلى الله تعالى

خلال هذه الأيام نجد الروحانية التي يعيشها المسلمون في موسم الحج، وبعيداً عن المصالح الشخصية الصرفة والأطماع المادية، تتوحد أنفاس الملايين من المسلمين في بقعة صغيرة من العالم، اختارها الله -عز وجل- لتكون مكاناً تهوي إليه أفئدة الناس، وتطوف عند بيت الله الحرام.

وفي هذه الأيام التي حددها الله - سبحانه وتعالى- من كل عام هجري، تصطف قلوب العباد للواحد الديان، تطلب منه الغفران والرحمة والرزق والجنة والعتق من النار، وتقبل على الطاعات والعبادات تستزيد منها... فتستأنس القلوب بالسكينة، وتغشاها الطمأنينة، فتكون أقرب ما تكون إلى السمع والطاعة، والانصياع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي هذه الأيام، يأمل الكثير من الناس أن يكونوا دعاة إلى الله، يهدون الضال، ويعلمون الجاهل، ويأخذون بيد المسيء، ويزيدون من علم المؤمن، ويكثر من حسنات العابد، ويلينون قلب القاسية قلوبهم.

وكانت خطبة الوداع، من أروع ما سطره -صلى الله عليه وسلم-، من العمل بالدعوة في موسم الحج، عندما صعد على مكان مرتفع، وخطب في الناس، وقال فيما قال -صلى الله عليه وسلم-: " أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لأدم وآدم من تراب، كل عمل جاهلية موضع تحت قدمي هاتين".

ومن بعده، انتهج الخلفاء الراشدون والسلف الصالح مبدأ الدعوة إلى الله خلال موسم الحج، مغتتمين اجتماع الناس، وتفرغهم للعبادة، وانقطاعهم عن مصالح الدنيا، فكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقضي بالحق بين الناس المتخاصمين في مواسم الحج، ويطلب من أمرائه في الأمصار أن يشاركوه الحج، فيستمع منهم، وينصحهم ويعظهم.

وكان الخليفة هارون الرشيد إذا حج، صحبه الفقهاء والمحدثون، لعقد جلسات للعامّة والخاصة، وتفقيه الناس بأمور دينهم، ودعوة الناس إلى المعروف ونهيهم عن المنكر.

وأنت أخي الحاج مهما يكن مستواك العلمي والثقافي فلا بد أن يكون لك نصيب في الدعوة إلى الله تعالى ، وذلك من خلال الدعوة الصامته بحسن الخلق والصبر على الأذى والإحسان إلى المحتاجين أو من خلال الدعوة الناطقة بالكلام الهين وقد قلت لك آنفاً هناك لين في قلوب الحاج ونوع من القبول للنصيحة .

وللدعوة إلى الله في هذه الأيام أشكال وأنواع، تختلف حسب الحاجة إليها، وتتميز بخصوصية الموسم الذي تنتشر فيه. ومكن ذلك : ( كما قاله أحد الدعاة )

1/ أيام يجتمع فيها مئات الآلاف من الناس من مختلف الدول الإسلامية والعالمية، ويكتف وجودهم في رقعة صغيرة في الأرض.

2/ أن المسلمين في الحج يأتون طلباً للأجر والثوبة من الله، وبالتالي فهم مقبلين على الطاعات، ومنفتحين على الدعوة ومتقبلين للنصح الديني.

3/ في هذه الأيام تتنوع الأعمال الصالحة من ذكر وتلاوة قرآن وسعي وطواف وهدى ورجم وصلاة، وغيرها. فيكون المسلمون متفرغين للعبادة، ومنقطعين عن مصالح الدنيا.

4/ يكثر البذل من قبل أهل الخير والصلاح في تقديم كل ما يحتاجه العمل الدعوي والخدمي والمعرفي للحجاج، ما يكسب العمل الخيري دفعاً ومساندة.

5/ تزول في بيت الله العتيق، الفروقات الدنيوية بين الناس، فلا تميّز بين غني وفقير، ولا بين رئيس ومرؤوس. فيتوحدون في العمل والأمل، والملبس والمسكن.

وهذه من الأمور التي يجب أن يضعها الدعاة في حساباتهم خلال عملهم في هذا الموسم المبارك، فيضعون الخطط الدعوية وفقاً لهذه الخصائص، ويبينون عليها مشاريعهم الخاصة والعامة.

أنواع الدعوة إلى الله في الحج :

تختلف أنواع الدعوة إلى الله في الحج، باختلاف الأسلوب، وإن توحدت في الهدف والمقصد.

فمن أنواع الدعوة، الدعوة الفردية الشخصية، والدعوة المنظمة التابعة لجهات معينة أهلية، والدعوة العامة التي تنظمها الجهات الحكومية.

ورغم أهمية الدعوات الحكومية والمنظمة، إلا أن الدعوة الفردية يبقى لها أثر كبير وفعال بين الناس لأسباب عديدة، منها:

1- أنها تبتكر أساليب وأنماط متعددة، حسب فكر كل شخص، ولا تتأطر في حدود معينة يملئها التخطيط المسبق للدعوة.

2- أنها تأتي من أناس متفاعلون بشكل مباشر مع الحجاج، ويتعاملون معهم بشكل مباشر، دون أن تكون هناك حواجز يملئها التنظيم للبرامج الدعوية.

3- أنها تنبع من أناس ينتمون للوسط الذين يدعون إلى الله فيه، وبالتالي فهم مشتركون معهم في العمل والعبادة والحركة والمسير والركوب في الباصات، وغيرها.

4- إمكانية الدعوة إلى الله في مختلف الأوجه والأشكال، بسبب وجود الداعية مع الحجاج في أعمالهم كلها، وبالتالي يمكنهم تقديم النصح والإرشاد وتذكيرهم بالله في جميع الشعائر التي ينفذونها في الحج.

5- أن الحجاج قد يتقبلون الدعوة والنصح من أناس معهم أكثر من البرامج الأخرى، بسبب سهولة الاستماع لهم، وعدم الحاجة إلى الذهاب إلى حيث تنظم المحاضرات والندوات وغيرها.

بالإضافة إلى العديد من الأسباب التي تتناسب مع كل حالة من حالات الدعوة إلى الله.

## كيف أدعو إلى الله في الحج :

يتمنى الكثير من الناس أن يكونوا دعاة إلى الله خلال موسم الحج، من أجل كسب الأجر والمثوبة، وزيادة العمل الصالح لهم، ونفع المسلمين القادمين من مشارق الأرض ومغربها فيما ينفعهم ويصلح أعمالهم، ونشر التعاليم الصحيحة للدين الإسلامي، وإبعاد الناس عن كل ما قد يشوب الحج من أعمال بدعية ناجمة عن الجهل أو التعاليم الغير صحيحة.

ولكن قد يحتار البعض في الطريقة التي تمكنه من الدعوة إلى الله في هذا الموسم، وقد تحبطه عن هذا العمل الصالح، الذي يحتاجه المسلمون خلال هذه الأيام المعدودة.

### ويمكن الاستفادة من بعض الأفكار في هذا المجال، ومنها:

1- خلال رحلتك إلى الحج، حاول أن تحمل معك عدداً من الكتيبات والمطويات التي تتضمن معلومات مفيدة عن الحج، وبعض الأدعية المأثورة، وعن الفرائض والآداب الإسلامية المتنوعة، وعن التوحيد والعقيدة. وحاول توزيعها على أكبر قدر ممكن من الناس هناك، واعمل على توزيعها في أماكن مختلفة، كي يستفيد أكبر قدر ممكن من الناس من تلك المطويات، وإن تيسر لك الحصول على مطويات بلغات أخرى غير العربية، فاحملها معك، ووزعها على المسلمين القادمين من الدول الغير عربية، وفي هذا المجال يروي أحد الإخوة الذين سافروا إلى الحج عن قصة حصلت معه، يقول: " ذهبت إلى الحج لأول مرة في حياتي، وحاولت أن أتعلم معظم الأمور الخاصة بالحج، ولكن تفاجأت هناك ببعض الأمور التي لم أعرف التعامل معها، كالتصرف مع الحجر اليماني، هل أقبله أم ألمسه. فسألت عن ذلك، فلم يسعفني إلا شاب من دول عربية أخرى، أعطاني مطوية فيها بعض محذورات الحج، فقرأت فيها أنه يسن لمس الحجر اليماني فقط دون تقبيل، ودون تمسح .

2- يقوم بعض القادمين من عدة دول، بممارسة بعض العادات والتصرفات التي لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية، والتي تعد مخالفة للتعاليم الإسلامية، بسبب الجهل وبعض الاعتقادات الخاطئة، وفي الحج ستكون الفرصة مناسبة جداً لتقديم معلومات للزائرين حول حرمة هذه التصرفات، وشرح التعاليم الإسلامية الحقيقية في ذلك. خاصة وأن معظم المسلمين في دول العالم، يثقون بآراء وبفتاوى العلماء من أهل العلم والصلاح، لذلك سيكون تقبلهم لهذه الأفكار أسهل في مكة لذلك، فإن على المسلمين مسؤولية

وواجب هام فيما يتعلق بتبيان رأي الدين الإسلامي حول هذه التصرفات والممارسات الخاطئة. يقول أحد القادمين من مصر للحج: " حج والدي قبل عدة سنوات، وبعد عودته روى لنا حادثة حصلت معه، وقد علقت بذهني وتعلمتها منه، فقد كان يقف بجانب الحرم المكي ويدعو الله -عز وجل-، ويبتهل إليه، ويستعين بـ "السيد البدوي" في دعائه، فوقف بجانبه رجل صالح وسلم عليه، وأخبره أنه لاحظ ملاحظة ويريد أن يفيد والدي لوجه الله -تعالى-، فتقبل والدي ذلك بصدر رحب، فأخبره الرجل عن البدعة التي يعتقدونها والدي في التبرك "بالسيد البدوي" وحرمة ذلك في الإسلام، وأنه من باب الإشراف بالله -عز وجل-، وبيّن له بعض الآثار السابقة، كالرجال الصالحين من قوم نوح وكيف تحول الناس لعبادتهم بعد موتهم. فاتعظ والدي منه، وشكره. فالرجل يستحق الشكر على ما بينه لنا من خطأ كنا نقع به كلنا، كاد أن يهلكنا.

3- تذكير الناس خلال بعض الأوقات، بأهمية الذكر والتكبير وقراءة القرآن، وعدم الانشغال عن عبادة الله -عز وجل- في هذه الأيام الفضيلة والساعات المحددة، التي قد لا تتجاوز الخمسة أيام. حيث يلاحظ انشغال كثير من الناس بالأحاديث المطولة، التي قد تدخل في أعراض الناس وفي النسيمة عليهم، وقد ينشغل الآخرون بالشراء والتسوق من المحلات المقامة هنا وهناك، وبالتدخين في الحج، فيأتي هنا دور المسلم الواعي الداعي، بأن ينبه الناس إلى أن هذه الأيام القليلة المباركة ستنتقضي بعد وقت قصير، ولن يكون من السهل العودة إلى نفس المكان، والوقوف بنفس الموقف، فيجب الاستفادة من هذه الساعات بأكثر قدر ممكن من العمل الصالح. وهذه الطريقة في الدعوة منتشرة كثيراً - والله الحمد-، فلطالما شاهد الحجاج أحد الصالحين، يقف ويقراء الحجاج السلام، ويحمد الله -تعالى-، ويصلي على النبي المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وينصحهم بكلام قليل مختصر، فيه فائدة وتذكير. وهي طريقة فيها فائدة عظيمة، فالإنسان مجبول على الخطأ والتقصير والنسيان والانسياق وراء ما يحدث معه، لذلك فإن التذكير والخطبة الصغيرة تعيد للحجاج إحساسهم بالوقت الفضيل الذي يقضونه، فيعودون إلى صالح العمل. فيقع الأجر لهم وللداعية.

4- الكثير من الحجاج قد لا يعلمون تماماً ما هي الأركان الكاملة للحج، وما هي الأمور المستحبة هناك، وما يسن القيام به. ويستعينون بالمطوف الذي قد تقوته هذه الأمور، أو قد لا يكون على دراية كاملة بهذه المسائل. فيأتي هنا دور الداعية لشرح بعض الأركان الخاصة بالحج، وتوضيح بعض السنن المستحبة، وتوجيه الناس إلى أفضل الأعمال وأصلحها. كرفع الصوت في التكبير والتهليل، والاكتفاء بالإشارة إلى

الحجر الأسود بحال تعذر الوصول إليه وتقبيله، والدعاء عند الشرب من ماء زمزم، ووجوب رمي الحجرات السبعة في المكان المخصص لها تحديداً بحيث تسقط في الحوض، وغيرها.

5- تقديم بعض الهدايا والأشرطة الصوتية والمطويات للحجاج خلال موسم الحج، من أجل الاستفادة منها بعد الرجوع من الحج إلى بلادهم. وهذه من الأمور الجليلة التي تعطي للداعية بعداً آخر يستفيد منه، بأن لا تنحصر دعوته بالأمور المتعلقة بالحج، وأن تكون شاملة للعديد من أوجه الدعوة الصالحة. كما أن أهل الحاج في معظم الدول العربية والإسلامية يتربصون بعودته، ويقبلون على ما لديه من كتيبات وأشرطة ومطويات بجديّة وبانسراح صدر، فهي القادمة من مكة المكرمة، فيكون تأثيرها واسع، ويقراها عدد كبير من أهل الحاج، فيستفيدون منها، وتزرع فيهم الأمور الصالحة.

6- الاشتراك في بعض الحملات بهدف خدمة الحجاج، ونصحهم وإرشادهم، وتوعيتهم في معظم أمور حجهم. خاصة إذا كان الإنسان طالب علم.

7- دعوة الناس إلى أماكن المحاضرات والدروس التي تقام في منى، وتنبههم إلى أهمية المحاضرات، وإرشادهم إلى أماكنها.

8- قد يصادفك من يسأل في منى عن بعض الأمور الشرعية، وقد تكون لست أهلاً للفتيا، فالواجب هنا عدم تقديم فتوى بدون دليل شرعي، ويفضل إرشاد الناس إلى كبائن الفتاوى، وتزويدهم بأرقام هواتف العلماء من أجل الحصول على إجابة شرعية.

بالإضافة إلى العديد من الأفكار التي قد يجد المسلم أنه قادر على تنفيذها في الحج، وقادر على إيصال رسالة دعوية من خلالها إلى الحجاج هناك، في أي وقت وأي مكان.

على أن الدعوة إلى الله لا تنحصر في موسم الحج فقط، ولا تنحصر في أشخاص معينين، بل هي عمل صالح يناسب الجميع، ويتوجب على كل الناس القيام به، فالدين نصيحة، كما أخبر الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، وهي أمر واجب شرعه الله - عز وجل- في كتابه الكريم بقول: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ" (النحل: من الآية 125).

الأدلة من الكتاب والسنة على أهمية الدعوة إلى الله تعالى :

أولاً: الأدلة من كتاب الله عز وجل :

يقول الله تعالى ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ) آل عمران: 104 .

وكذلك قول الله تعالى : ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ) آل عمران: 110

فخيرتنا – نحن أمة الإسلام – ليس بسبب أننا عرب أو أن عندنا خيرات أو شيء من هذا القبيل إنما خيريتنا أن المفروض فينا أننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، أن ننطلق من توجيهات رب العالمين في الدعوة إلى الله وضرورة تبليغها لجميع الناس قوله تعالى :إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران: 19 .. فما دام أن الدين عند الله الإسلام فلا بد أن يقوم به المسلمون ويطبقونه عملياً ويدعون الآخرين إليه .

وكذلك قوله تعالى ويطبقونه عملياً ويدعون الآخرين إليه وكذلك قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) النحل: 125 كذلك من الأدلة التي تبين فضل الدعوة وأهميتها وضرورة الدعوة على مر العصور والأزمان قوله تعالى على مر العصور والأزمان قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) فصلت: [ 33] فهذا دليل واضح وصريح على أن الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى هم أحسن قولاً لأنهم يدعون إلى دين الله تبارك وتعالى: ويدعون إلى قال الله تعالى وقال رسوله صلى الله عليه وسلم .

كذلك قوله تعالى : ( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يوسف: 108 [ طبعاً معروف من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم صحابته الأطهار ومن سار على طريقتهم إلى قيام الساعة من أبناء الأمة الإسلامية .

هذه كلها أدلة تبين فضل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه لا بد للأمة الإسلامية أن تتحمل هذه الدعوة وأن تقنع نفسها بهذا الإسلام وأن تحمل هذا الإسلام إلى غيرها بثتى الطرق وبثتى الوسائل المتعددة .

ومن الأدلة من السنة : قوله صلى الله عليه « بلغوا عنى ولو آية فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه مسلم هذا فيه دليل على ضرورة التبليغ – أي تبليغ – الدعوة لسائر الناس فمن علم آية وفهم معناها عليه أن يبلغ هذه الآية غيره من لا يعلمها

### فوائد الدعوة إلى الله :

1/ الأجر والثواب الذي يحصل عليه الداعية من الله سبحانه وتعالى: فالداعية إذا أخلص النية وجدَّ واجتهد فإنه يحصل على أجر عظيم عند الله تبارك وتعالى □ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [المجادلة: 11].

2/ أنها سبب من أسباب إشاعة الأمن والطمأنينة في المجتمع المسلم، ومن أسباب مكافحة الجريمة .

3/ أنها سبب من أسباب التعاون على البر والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان بين آحاد المسلمين .

4/ أن الدعوة إلى الله سبب من أسباب التناصح بين المسلمين .

5/ أنه من أسباب تكوين الأخوة الإسلامية التي طالبنا الله بها بقوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) الحجرات: 10].

6/ أنها من أسباب تكوين الوحدة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية وتعميق مفهوم التضامن الإسلامي .

7/ أنها من أسباب رضا الله تعالى عن المسلمين وبالتالي تحقيق السعادتین الدنيوية والأخروية .

## خاتمة الروحانيات

### شئ من العقل والفكر

أحببت أن أعطي العقل والفكر حقه في هذه الخاتمة كما أعطيت الوجدان حقه فيما سبق من وقفات ، وذلك من خلال نقل بعضاً من مقال بعنوان (من أسرار الحج.. دراسة في فقه الدلالات والمقاصد) للأستاذ: يحيى رضا جاد - مع نوع تصرف -

يقول الأستاذ المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور : تحت عنوان : ( أبعاد فلسفة المكان ورسالته الخالدة ):

ألست معي - قارئ الكريم- في أننا بحاجة إلى أن نعي ونفقه "أبعاد فلسفة الأماكن" التي نوّدي فيها مناسك الحج؛ حتى نبتعد قدر الإمكان عن شَرِكِ "الشكلية في العبادة"؛ حتى تعود "الحياة الحقة" لمناسك الحج وشعائره؛ إذ مناسك الحج تبتغي " تقوى القلوب" (الحج:32) فحرام أن نختزلها في الحركات والسكنات، وأن نغرق مقاصدها الروحية السامية في التفريعات والجزئيات!!

### تعال بنا نطوف معاً - قليلاً- حول أبعاد تلك الفلسفة:

1/ نحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج - وهو يطوف حول الكعبة- ما هو أكثر من مجرد الطواف والدوران؛ إذ حول الكعبة نزلت كلمات الله على خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم .. وبهذه الكلمات تمت في مدرسة النبوة إعادة صياغة أهل الجاهلية - أسرى العصبية وعبدة الأوثان- حتى غدو الجيل الفريد الذي غير مجرى الدنيا والحضارة، وأمسك بدفة التاريخ.

2/ ونحن بحاجة - كذلك- إلى أن يتذكر الحاج، وهو ذاهب ليرمي جمرة العقبة، ما هو أكثر من رمي الجمرات.. إذ في العقبة عقدت "الجمعية التأسيسية للدولة الإسلامية" .. تلك الدولة التي غيرت الواقع، وحولت مسار التاريخ، وجعلت المستضعفين في الأرض: الأئمة والوارثين لمواريث النبوات والحضارات.. وذلك عندما بايع الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الدولة، بعد أن سبق لهم بيعته على إقامة الدين.. فولدت في العقبة الدولة التي حرس الدين، والتي ساست الاجتماع والعمران بشريعة هذا الدين.

3/ ونحن بحاجة - كذلك- إلى أن يتذكر الحاج -وهو بالعقبة أيضاً- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسس الدولة الإسلامية الأولى على "البيعة والشورى والاختيار" لا على الاستبداد والتزوير والإجبار.. وذلك عندما هم الأنصار بمبايعته على إقامة الدولة، فرغب إليهم أن تتم البيعة بواسطة "مؤسسة دستورية" تنشأ بالاختيار والانتخاب، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : " اختاروا منكم اثني عشر نقيباً" .. فولدت بذلك أولى المؤسسات الدستورية في الدولة الإسلامية.. فمن العقبة - يا من ترمي الجمرات- بدأ تراث أمتنا في المؤسسات الدستورية القائمة على الشورى والاختيار والانتخاب، وبمشاركة الرجال والنساء، قبل أن تعرف الأمم والحضارات لها تراثاً في هذه المؤسسات.

4/ ونحن بحاجة - كذلك- إلى أن يتذكر الحاج - وهو واقف بعرفة- ما هو أكثر من مجرد الوقوف والدعاء.. إذ في هذا المكان كانت حجة الوداع والبلاغ، تلك الحجة التي كانت مؤتمراً جامعاً قرر فيه صلى الله عليه وسلم "الحقوق المدنية الإسلامية" .. وذلك في خطبة الوداع الشهيرة، تلك الخطبة التي مثلت - بحق - "وثيقة الحقوق المدنية الإنسانية" التي شرعها الإسلام للإنسان.

ثم يقول : **من دلالات منسك الحج :**

1/ **إحياء ملة إبراهيم الحنيفية السمحة، وتذكرة أهل الكتاب بها:**

لما كان إبراهيم الخليل "أبو الأنبياء" وابنه إسماعيل - عليهما السلام- قد أقاما قواعد البيت العتيق، فلقد شاء الله أن يكون إلى ذلك البيت العتيق حج أمة "خاتم الأنبياء" الذي أحيت شريعته ملة إبراهيم، والذي تعيد أمته - في مناسك حجها- مناسك إبراهيم وإسماعيل وهاجر، مجسدة بهذا الإحياء وحدة دين الله.

فإلى "أول بيت" تحج الأمة الخاتمة.. " فتحيي أمة " خاتم الأنبياء " مناسك ملة" أبي الأنبياء، وتذكر بها أهل الكتاب - توحيداً خالصاً، وملة حنيفية سمحة- خاصةً بعد أن اختلفوا في إبراهيم وتشاكسوا فيه (أل عمران:95-97)

2/ **التأكيد على أن الإسلام هو الشريعة الخاتمة لسلسلة رسالات الله إلى الإنسان:**

إن البيت العتيق هو "أول بيت" عبد الله فيه على هذه الأرض.. ففيه، ومنه، بدأ الدين، وإليه قرر الله أن يكون حج "الأمة الخاتمة"؛ رمزاً وتجسيداً لوحدة دين الله من لدن آدم إلى محمد صلى الله وسلم عليهم جميعاً.

ورمزاً وتجسيداً لاكتمال لبنات هذا الدين الواحد بشريعة الإسلام ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ حتى يرتبط "الختم" بـ "البدء" و "القمة" بـ "الجزور" و "المنتهى" بـ "المنطلق"؛ فيتجسد الرمز: رمز استيعاب الإسلام - الذي جاء به محمد من عند الله- للدين الإلهي على إطلاقه - وللتدين على عمومهم- وهيمنته عليه .. وحتى ترتفع الأعلام المؤذنة بأن تصديق الأمة الخاتمة بنبيها محمد صلى الله عليه وسلم، إنما هو جزء من "تصديقها" بجميع الرسل والأنبياء، و"احتضانها" " لهدي النبوة جميعه على امتداد موكب حملته، و "هيمنتها" على الدين كله بتربعها على عرشه؛ إذ هي الأمة "الخاتمة" و "المكففة بالحفاظ عليه" و "الدعوة إليه".

### قم يقول: من مقاصد الحج العامة

1/ نشر السلام: إن الحج طريقة فذة لـ "تدريب" المسلم على السلام، و "إشرابه" روح السلام؛ فهو "رحلة سلام" إلى "أرض سلام" في "زمن سلام"؛

رحلة سلام: إذ المسلم لا يبغى قتال أحد، ولا قتل أحد، وإنما يخرج قاصداً وجه الله وبيته.. محرماً يظل فترة إحرامه في سلام حقيقي مع من حوله وما حوله من إنسان وحيوان، وطير ونبات.. فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج، ولا قطع لنبات ولا شجر، ولا صيد لحيوان ولا ذبح له، بل ولا حلق لشعر نفسه، ولا قص لظفره.

إلى أرض سلام: إذ أرض الحج هي البلد الحرام: مكة، والبيت الحرام: الذي جعله الله مثابةً للناس وأماناً، و"من دخله كان آمناً" (آل عمران:97) إنها منطقة أمان فريد في نوعه؛ يشمل الطير في الجو، والصيد في البحر، والنبات في الأرض .. فهي "منطقة معقمة" لا يصاد صيدها، ولا يروع طيرها ولا حيوانها، ولا يقطع شجرها ولا عشبها.

في زمن سلام: إذ الحج - بالسفر إلى تأديته، والعودة منه، وأداء مناسكه- يقع في ثلاثة أشهر - هي: ذي القعدة وذي الحجة والمحرم- هي من الأشهر الحرم التي جعلها الله "هدنة إجبارية" تُغمد فيها السيوف، وتحقن الدماء، ويوقف القتال؛ حتى "يتذوق" الناس

طعم السلام والهدوء والأمن والأمان؛ فيسعدوا إليه مهرولين!.. فهل رأت الدنيا "تطبيقاً عملياً" للسلام و "تدريباً" عليه كهذا الذي يصنعه الإسلام في رحلة الحج كل عام؟!

2/ التربية: يقول تعالى: " لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب" (البقرة:196)، "ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه" (الحج:28).. "لا رفث": يمنع في الحج منعاً جازماً حاسماً الاستجابة لشهوة الفرج، وكل ما يتصل بها، ويمهد لها، أو يحركها - من قول أو فعل أو إشارة.

"لا فسوق": ويمنع في الحج ارتكاب أي مخالفة شرعية.. والمعاصي والمخالفات يعظم إثمها بعظم حرمة زمانها ومكانها، وبمقدار التشديد والتوكيد في النهي عنها.. وكل ذلك متحقق في الحج؛ إذ مخالفة الشرع منهي عنها نصاً خارج وقت الحج، ونصاً أيضاً في وقت الحج، إضافة إلى حرمة زمان الحج ومكانه.. ومن ثم، على الحاج أن يلتزم في أثناء مدة حجه بأعلى درجات الطاعة والانضباط.. وإذا كان الشرع قد كف الحاج عن عدد من المباحات، فكيف لا يكف الحاج نفسه عما هو محرم ومنهي عنه من أصله.

"لا جدال": الحاج في أمس الحاجة للصفاء ولاستغلال وقته والاستفادة منه.. والجدال - في أغلب الأحيان- مضيعة للوقت، ومُذهب للصفاء، وسبب للمشاحنات، ومقدمة للخصومات والمنازعات.. ولذلك نهى الله عن الجدال في الحج.

"ومن يعظم حرمات الله": إن الحاج ضيف من ضيوف الرحمن، بل هو نزيل بيت الضيافة الرباني.. ونحن إذا كنا ضيوفاً على غيرنا من الناس نكون على غاية ما يمكن من الأدب والهدوء والانضباط والالتزام واللياقة، فكيف بمن يكون في بيت الله وضيافته؟ وكيف إذا كان المضيف في غاية الإكرام والتنعيم لضييفه ونزيل بيته؟ إن الإساءة في مثل هذا المقام جريمة، بل وفضيحة تسير بها الركبان!

"وتزودوا فإن خير الزاد التقوى": على الحاج - وهو يستعد لسفره، ويتزود لرحلته- أن يتذكر أنه عما قريب سيفارق أهله وولده وبلده وماله إلى غير رجعة، وأن عليه أن يتزود أكثر وأكثر لسفره الأكبر، ورحلته الأخطر.. وليتعلم من رحلته إلى الحج - وتزوده لها، ومفارقتها من يحب وما يحب- أنه لا بد من رحل ومفارق، وأن لكل ارتحال زاداً واستعداداً، وأن زاد الآخرة هو التقوى والعمل الصالح.. ومن أهم لوازم التقوى أن يبرئ المرء ذمته

من المظالم وحقوق العباد؛ فيرد منها ما يمكن رده، ويستسمح من يمكن الاستسماح منه، ويستغفر الله ويتوب إليه مما لا يعلمه ولا يستطيع رده ولا التحلل منه؛ حتى لا يكون في سفره -الأصغر والأكبر- مثقلاً ومكبلاً بالمظالم وآثامها.

وبناءً على كل ما سبق، يجب على الحاج أن يكونوا على درجة عالية من حسن الخلق، ومن الرفق واللين والتسامح.. وأن يعتبروا الحج فرصة نادرة لترويض النفس وتدريبها على التواضع والهدوء والخشوع والصفاء والبر والعفو والحلم.. إذ كل هذه أخلاق ضرورية كي يكون الحج مبروراً مقبولاً. وبهذا يعود الحاج كيوم ولدته أمه.. ويعود وقد أصبح من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.. يعود وقد أصبح يدرأ بالحسنة السيئة، ويدفع بالتي هي أحسن.. يعود وقد ألزم نفسه بكف الأذى عن الناس، بل وبالتغاضي عن أذاهم، ومقابلته بالحلم والغفران..

أما أن يذهب على ما كان عليه من سوء الخلق وفضاظة الطبع وكثرة الجدل والخصام والأذى والفسوق، ثم يمكث هناك وعود على ما كان عليه، فما استفاد من حجه، وما ضمنه حجاً مبروراً متقبلاً، بل "ما حج هو، وإنما حج الجمل" !!.. رأيت كيف هو الحج "دورة تربية تدريبية نادرة" .. فإذا رأيت وعلمت؛ فالزم!!

### 3/ الوحدة الإسلامية - تجسيدا واقعياً وتطبيقاً عملياً.

الحج طريقة فذة لربط أمة الإسلام بمركز واحد، يديم لها رباط الدين، ويجدده فيها، ويوثق خيوطه، ويشدها بواسطته إلى ذكريات النور الذي انبثق في فجر رسالتها فهداها وأخرجها من الظلمات إلى النور.. وفي الحج تتجلى "الوحدة الكاملة للأمة الإسلامية" بكافة شعوبها وأعراقها وأقطارها: وحدة في المشاعر والشعائر، ووحدة في القول والفعل.. لا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية ولا طبقية، وإنما الجميع مسلمون، وبرب واحد يؤمنون، وببيت واحد يطوفون، ولكتاب واحد يقرأون، ولرسول واحد يتبعون، ولأعمال واحدة يؤدون، ولهدف واحد ييغون.

الحج فرصة لكل حاج كي "يجسد" الوحدة الإسلامية و "يستمتع" و "يعمق" شعوره بها - ولو لبضعة أيام أو أسابيع- .. فليوثقها بحسن التعارف والتآلف، وبالتعاون وحسن التعامل، وبتبادل الآراء والأخبار والمعلومات، مغلفاً ذلك كله بالمحبة والإخاء.

#### 4/ الانتفاع "ليشهدوا منافع لهم :

"منافع" .. هكذا بالتنكير، ومن غير تحديد.. ومن ثم، فهي مفتوحة وعامة ومطلقة.. مما يدل بدوره على أن منافع الحج كثيرة ومتنوعة، بل وغير محصورة - لو أعدنا لها الإعداد الأمثل، واستثمرنا هذا الموسم أحسن استثمار: مادياً ومعنوياً، سياسياً وثقافياً فكرياً، واجتماعياً.

-ولقد نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إلى قيمة الحج كـ "مؤتمر عالمي أكبر"؛ حيث اتخذ منه منبراً لإذاعة أهم القرارات والبلاغات والتوجيهات والقضايا التي تتصل بالسياسة العامة للمسلمين؛ ففي الحجة التي تمت في السنة التاسعة للهجرة، تحت إمارة أبي بكر الصديق، أُعلن على الناس، بتوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم، قرار إلغاء المعاهدات التي عقدت مع المشركين؛ إذ قد نكثوها وعبثوا بها وخرجوا عليها.. وفي العام التالي، حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه -حجة الوداع، وألقى خطاباً لم تَع مسامع الوجود أرقى من مبادئه، ولا أشرف من مقاصده: جاعلاً إياه سجلاً صادقاً لحقوق الإنسان وحرريات الأمم، وملخصاً فيه أهم مبادئ الإسلام.

- وعلى درب رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الخلفاء الراشدون؛ إذ جعلوا من موسم الحج مؤتمراً يلتقون فيه بالولاة والعمال والقضاة، والعاملين على الزكاة، وقادة الجند، والفقهاء وأهل الرأي، بل وجمهور الناس من مختلف الأقاليم الإسلامية؛ حتى توضع صورة واقع الأمة أمام العقل القائد والمفكر - الخليفة الراشد- ؛ ليغيث الملهوف، وينصف المظلوم، ويرد الحق إلى أهله، ويضبط الأمور ويرشدها وينظمها، ومن كانت له مظلمة أو شكاية أو اقتراح فليتقدم به له.

- وعلى درب الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين سار التابعون بإحسان؛ فكان موسم الحج منتدى للقراء والفقهاء والمحدثين وأهل الفكر والأدب، يتبادلون فيه الآراء والأفكار والخبرات والاجتهادات والروايات؛ لتنمو في الأمة ملكات الضبط والحوار والتعقل والاجتهاد واحترام الرأي الآخر.

-واليوم.. وفي ظروف عصرنا الحديث، وعلى ضوء الواقع البائس الذي تحياه أمتنا - التي أصبحت "أمماً شرادماً" بعد أن كانت أمة واحدة، رغم ما لديها من إمكانيات مادية،

ورغم ما تملك من عقول مبدعة ومفكرة وخلاقة.. هل نطمح ونطمع ونتطلع إلى إعادة شعيرة الحج " مؤتمراً عالمياً أكبر " لأمة الإسلام، و"لقاءً جامعاً" لعقل الأمة الراشد؛ يتأمل واقعها، ويرسم لجمهورها سبل الخلاص؟!.. ما ذلك على الله بعزیز، ولا على المخلصين المصلحين "المتضامنين المتضامين" ببعيد!!

- والحج - عند سبر غوره- رحلة علمية وثقافية، وتوسيع لأفق المسلم، ووصل له بالعالم الكبير من حوله.. هكذا ينبغي أن تكون رحلة الحج من أولها إلى آخرها، بذهابها ورجوعها، بإقامتها وتنقلاتها.. فمشاهدة البلدان وأهلها، ومجالسة العلماء والحكماء والمثقفين، وحضور الدروس والمحاضرات -على اختلاف أنواعها- وزيارة المواقع الأثرية والمآثر الإسلامية التي شهدت بزوغ فجر الإسلام وسطوع نوره على الأرض .. كل ذلك علم وثقافة، وتفقه وخبرة، لا ينبغي للحاج أن يضيعها أو يقلل من شأنها؛ لأنها من المنافع التي دعانا الله لأجل شهودها وتحصيلها باعتبارها من مقاصد الحج وثماره.

- وفي الحج "تدريب على تحمل المشقات"، واحتمال الشدائد، والصبر على المكاره؛ إذ السفر للحج ركوب للمشقات، ومفارقة للأهل والوطن، وتضحية بالراحة والدعة والمال... وفيه "تدريب على مواجهة الحياة كما فطرها الله"؛ بأزهارها وأشواكها، وشهدها وصبرها، وحرها وقرها؛ إذ حياة الحاج أشبه بحياة الكشاف - وخاصة في خيام منى وعرفات- في بساطتها وخشونتها، وتنقلاتها وارتحالاتها، واعتمادها على النفس، وبعدها عن الترف والتكلف والتعقيد.. مع ما قد يصطدم به الحاج من مناخ سيء؛ إذ أشهر الحج دائرة مع شهور السنة القمرية؛ وهي أشهر - كما نعلم- تأتي أحياناً في وقدة الصيف، وأحياناً في زمهرير الشتاء.. كل ذلك ليكون المسلم على استعداد لتحمل كل الأجواء، والاصطبار على كل ألوان الصعوبات.. فأعظم بها من منافع!!

-إن الحج " شحن لبطارية الروح والإيمان" .. يملأ جوانح المسلم بالتقى والخشية من الله، والعزم على طاعته، والندم على معصيته.. ويغذي فيه عاطفة الحب لله ولرسوله وللمن عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه.. فيعود المسلم أصفى قلباً، وأطهر مسلماً، وأقوى عزيمة على الخير، وأصلب عوداً أمام مغريات الشر .. ينشئه الحج خلقاً آخر، ويعيده كيوم ولدته أمه. - والحج تبادل للمنافع التجارية والاقتصادية -على نطاق واسع- بين المسلمين.. أو هكذا يجب أن يكون.. وموسم الحج - في واقع أمره اليوم- مجرد "استهلاك" لسلع يصنع أغلبها غير المسلمين، بل إن "سجادة الصلاة" و" بوصلة القبلة" يصنعها الوثنيون للمسلمين!!

5/ ذكر الله وعبادته والخضوع والتسليم له: "اذكروا الله عند المشعر الحرام" ..  
"واذكروه كما هداكم" .. "واستغفروا الله" .. " فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكراً" ..  
"واذكروا الله في أيام معدودات" ..

- إن الأمر بذكر الله أمر متكرر في كل مراحل الحج ومناسكه، وهو أمر ملازم لكل أعمال الحج ومحطاته .. مما يجعل الحاج في حالة انقطاع وتجرد وتفرغ واستغراق، فتسمو روحه إلى آفاق علوية ربانية نورانية لا يعلم مداها، ولا فيوضاتها، إلا الله.

- والحج - وهو شرعاً: القصد إلى بيت الله والهجرة الفعلية إليه- هو في حقيقته وجوهره: قصد إلى الله، وهجرة إليه مما سواه؛ خضوعاً وتسليماً له .. وشد الرحال إنما هو في حقيقته وجوهره إلى "رب البيت" لا إلى " ذات البيت" ..

- وبمثل ما أن الحج "دورة ذكر مكثفة"، فهو أيضاً "دورة تعبدية شاملة" سواء بسواء ..  
وهاك البيان : لقد أكرمنا الله وشرفنا بعبادات متنوعة ومتعددة؛ حتى يجد الناس - على اختلاف ظروفهم وأحوالهم وقدراتهم- فرصتهم ونصيبيهم ومجال قوتهم منها، وحتى يجد كل مكلف أنواعاً من العبادات تتسع لكل ما فيه، وما لديه، من بدنٍ وعقلٍ وروحٍ ونفسٍ ومالٍ ووقت .. فالصلاة عبادة لروحه ونفسه وعقله وبدنه .. والصيام عبادة لروحه ونفسه وبدنه .. والزكاة عبادة لروحه ونفسه وماله .. والجهد عبادة لبدنه أو لماله أو للسانه .. والذكر عبادة لقلبه وروحه ونفسه ولسانه .. ولكن الحج يجمع كل هذا ويزيد عليه؛ فالحاج يعطي غير قليل من وقته في رحلته ومناسكه .. وهو يضحى بماله الذي ينفقه والذي يفوته كسبه .. وهو يجاهد ويعاني ببدنه وكافة حواسه؛ فيمشي بقدميه طائفاً وساعياً، ويرمي بيديه راجماً .. وهو ينهمك في حبه بقلبه وروحه ونفسه .. ويلبي ويذكر ويدعو بقلبه ولسانه .. وبذلك يتضح أن الحج عبادة تستغرق من الحاج كل كيانه؛ ففي الحج نصب وتعبد، ومجاهدة ومعاناة، وصلاة ودعاء، وذكر وفكر، وحلم وصبر، ونفقات وصدقات .. وقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه "جهاد لا قتال فيه" رواه ابن ماجة (2901) وصححه الألباني.أست معي - بعد ذلك كله - في أن الحج " دورة تعبدية شاملة!!"

## الفهارس

الصفحة	الموضوع	م
2	المقدمة	1
6	تمهيد : قصة مؤثرة بين يدي هذه الروحانيات	2
10	الوقفة الأولى : روحانيات الحاج عند خروجه للسفر صوب البيت العتيق	3
13	الوقفة الثانية : روحانيات الحاج عند وصوله للميقات ولبسه لملايس الإحرام	4
17	الوقفة الثالثة : روحانيات الحاج في التلبية	5
21	الوقفة الرابعة : روحانيات الحاج عند رؤية الكعبة والطواف بالبيت العتيق	6
27	الوقفة الخامسة : روحانيات الحاج في السعي بين الصفا والمروة	7
30	الوقفة السادسة : روحانيات الحاج عند نزوله بمنى يوم التروية	8
32	الوقفة السابعة : روحانيات الحاج في عرفات	9
37	الوقفة الثامنة : روحانيات الحاج عند حلق رأسه ورميه للجمرات في أيام التشريق	10
40	الوقفة التاسعة : روحانيات الحاج عند التكبير في أيام التشريق	11
42	الوقفة العاشرة : روحانيات الحاج في طواف الوداع	12
45	الوقفة الحادية عشرة : روحانيات الحاج عند زيارة المدينة النبوية المنورة	13
56	الوقفة الثانية عشرة : روحانيات الحاج في الدعو إلى الله تعالى	14
64	خاتمة الروحانيات : شئ من العقل والفكر	15
72	الفهارس	16